وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة :

# القضايا اللغوية في كتاب الإمتاع والمؤانسة

## لأبي حيان التوحيدي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس LMD

**من إعـــداد:**

– خديجـــــة موفـق.

– فضيلـــــة مباركي.

**إشراف الأستاذة :**

– عائشة عويسات

الموسم الجامعي : 1436 هـ- 1437 هـ/ 2015م - 2016م .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين﴾
النمل: ١٩

# شكر وتقدير

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات...تتبعثر الأحرف عبثا أن يحاول تجميعها في سطور، سطورا كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا ...

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة، ونخص بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا الفاضلة – عائشة عويسات – التي تفضّلت بالإشراف على هذا البحث، فجزاها الله عنا كل خير ولها منا كل التقدير و الاحترام، و كذلك نشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لنا يد العون وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمامه.

والله ولي التوفيق

**فضيلة – خديجة**

# المقدمة

## المقدمة:

الحمد لله على نعمة اللغة والبيان، والصلاة والسلام على خير بني الانسان، سيدنا محمد،وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم لقاء الديّان، وبعد...

ن المميزات التي بها ميز الله الإنسان وخصّه عن سائر مخلوقاته "العقل" الذي يفكّر به. فالإنسان لا يتصرف في حياته تبعا لغرائزه فقط دون تحكم، بل يتدبّر، ويتأمّل، ويناقش، ويفاضل بين بدائل ويتخذ قرارات... والعقل لا يميز الانسان عن سائر الكائنات الحية فحسب، بل يميز أيضا بين انسان وآخر في المجتمع احدهما يستخدم عقله، والآخر لا يستخدمه لسبب أو لآخر ... وتأتي الموهبة الالهية الكبرى التي وهبها الله عزّ وجل لنا ولك البشر وهي اللغة.

للغة هي فعل كياني بها يكون تحقيق للذات الانسانية، في وجودها ومصيرها، فهي التي نتحدثها و نكتبها،و نقوم من خلالها بشؤون حياتنا، فبها نتواصل، وبها ندرس، وبها ندرّس، بل بها وعنها وفيها نبحث (والكلام على الكلام صعب كما يقول أبو حيان التوحيدي) .

نكتسب اللغة منذ الطفولة، نكبر بها ،وتكبر معنا ...، ولا نعرف عنها شيئا.

إنّ اللغة هي وسيلة من وسائل الاتصال الفكري، والوجداني، والسلوكي بين المجتمع والأفراد، عن طريقها يتصل الفرد بتراثه الماضي وعن طريقها يفرض المجتمع شروطه وعضويته على الفرد، إنها البوتقة التي ينصهر فيها الأفراد لتكوّن كلاً متجانسا: فكرا، ووجدانا، وسلوكا.

والاهتمام باللغة العربية كان منذ القديم، حيث نجد العرب قدموا ملاحظات قيمة حولها عن طريق العودة إلى النصوص اللغوية وتفحصها، تظْهِرُ مجهوداهم في مجال دراسة اللغة وتحليلها واستنباط أحكامها و قواعدها و كيفية اكتسابها وتلقينها، فعلى الرغم من اتسام كتبهم بالموسوعية، فإنك تجد آرائهم اللغوية متناثرة هنا وهناك بين طيات كتبهم، ونحن من خلال بحثنا هذا سنحاول الكشف على بعض من هاته الآراء اللغوية المطروحة في كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي ،وفي ظل

هاته الدراسة ستظهر محاولتنا في دراسة لإحدى الشخصيات الفريدة بنوعها وأحد كتّاب العصر العباسي ، وهو "أبو حيان التوحيدي "، وهو من الأعلام الذين لا يتفق على حصرهم في مجال .

فقد كانت كتاباته متميزة ومثيرة في الآن ذاته للتساؤل والجدل، فقد كان يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ في ذلك العصر، إلا أنها كانت مختلفة عنها قليلا ومنفردة بخصوصيتها التوحيدية، وما أثار ذلك التساؤل و الجدل هو الجانب اللغوي الذي تميزت به بعض مؤلفاته خاصة كتابه الإمتاع و المؤانسة وهو مدونة بحثنا هذا.

وأصل كتاب الإمتاع و المؤانسة يحكي مجالس السلطة وأحاديث العامة والخاصة، و ما جاء فيه من أفكار و طروحات لغوية فهي للخليفة مرة وللمهندس مرة و للوزير مرة أخرى، فالكتاب تأليف موسوعي لا نستطيع الإلمام به من كل الجوانب، ومعرفة كل القضايا اللغوية المحتواة فيه، لذا سنكتفي باستنباط لبعض هذه القضايا اللغوية. وبها نكون قد نفضنا الغبار عن بعض تراثنا، ملتزمين موضوع التخصص لغة- لسانيات عامة، راجين أن تكون محولتنا البسيطة هذه في سبيل إضافة أو نفع للجميع.

إنّ الأسباب والدوافع التي دفعت بنا الى البحث حول هذه الشخصية متعددة ولعل من أهمها الفضول والرغبة في الولوج الى عالم الابداع الأدبي في عصور الازدهار، وبخاصة عند أبي حيان التوحيدي ، ومحاولة التعرف على أسرار كتاباته.

ولقد بحث في هذه الشخصية العديد من الباحثين ، وتطرقوا اليها من عدة جوانب نفسية و اجتماعية وحتى صوفية ، ومن بينهم على سبيل المثال : إبراهيم الكيلاني، ياقوت الحموي، زكريا إبراهيم وغيرهم ممن درسوا هذه الشخصية، غير أن هذه الدراسات قد اغفلت جانبا نجده لا يقل أهمية، وهو ذلك الجانب اللغوي والقضايا اللغوية المطروحة، والتي تظهر بصورة بارزة في كتابه الإمتاع والمؤانسة الذي كونه مجرد ليال أو مسامرات تلقى في مجالس السهر والسمر، إلاّ أنه يحمل في طيّاته الكثير من الأسرار .

وعليه اخترنا لبحثنا هذا العنوان الآتي: القضايا اللغوية في كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي – بعض الليالي أنموذجا – وهو في الحقيقة إحياء للتراث العربي وبعثه من جديد، في زمان تخلّلته مجالس العلم والفقه والأدب والفن ،ناهيك عن النقاشات المثارة في ليالي السمر التي ترأسها التوحيدي. لذا كانت انطلاقتنا لهذه الدراسة من الاشكال التالي :

– ما هي أهم القضايا اللغوية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ؟

– وفيم تتمثل ابرز القضايا البلاغية والأصولية والنحوية المطروحة فيه ؟

وللإجابة عن هذا الإشكال أعددنا الخطة التالية : قسمنا بحثنا هذا الى مدخل تمهيدي وفصلين ،الأول نظري والثاني تطبيقي، حيث تحدثنا في المدخل التمهيدي عن العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية التي كان لها أثرا بالغا على شخصية وحياة التوحيدي؛ حيث ألّف عدة كتب كانت نتاج لذلك التأثر، ثم أشرنا إلى أن التوحيدي كان من المعتزلة ، بالإضافة إلى حادثة إحراق كتبه التي لولاها لغنت المكتبة العربية بمختلف مؤلفاته التراثية .

ثم قسمنا الفصل الاول الى مبحثين: المبحث الاول خصَّص للتعريف بشخصية ابي حيان التوحيدي ومولده، أصله، حياته، شيوخه، تلامذته، ثقافته، مؤلفاته، وفاته...

والمبحث الثاني خُصّص للتعريف بمدونة بحثنا هذا فطرقنا لقصة التأليف وهيكلة الكتاب وأهم مواضيعه وفي الفصل الثاني يأتي رصد لأهم القضايا اللغوية وذلك في بعض ليالي السمر التي أجراها أبو حيان التوحيدي في مجلسه. وتحدثنا عن قضية بلاغية طرحها التوحيدي في الليلة السابعة، وهي البلاغة والكتابة الديوانية، كما فصلنا فيما طرحه في الليلة السادسة من قضايا أصولية كالأسواق الأدبية، ثم الليلة الثامنة بحثنا في بعض المسائل النحوية التي صرّح بها التوحيدي على لسان أبو سعيد السيرافي ومنها "الواو"،حرف "في"،التقديم والتأخير، في الأخير خاتمة التي كانت بمثابة محصلة لنتائج هذا البحث .

واعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي يتناسب والحديث عن المسار التاريخي للتوحيدي وكتاباته في عصره، كما انتهجنا المنهج الوصفي التحليلي والذي يلائم ايضا البحث في وصف أسلوب الأديب واختياراته اللغوية وبنائها. وقد استعنا في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع والتي أفادتنا في جمع المعلومات الهامة لخدمة هذه الدراسة وكان أبرزها: كتاب أبو حيان التوحيدي لأحمد محمد الحوفي ،كتاب أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا لمحمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء لزكريا ابراهيم ،القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي عبد القادر برجي...

ومما عرقل وصعّب سيرنا في بحثنا، قلة ونقص كبير في المصادر والمراجع ، بالإضافة إلى الغموض في المدونة والشخصية المختارة .

ما جاء في مذكرتنا حول هذه الدراسة ليس إلا إسهاما متواضعا منا،لأجل الوصول الى نتائج مرضية حول هذا الموضوع، ولا ندعي أن هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذة المشرفة "عويسات عائشة"على إرشادنا وتوجيهنا وتسديد بعض آرائنا في سبيل التقويم، فلها أعظم الفضل وأجزل الشكر. فقد كانت أختا كريمة وأستاذة معطاءة.

نسأل الله التوفيق والسداد

أسرة البحث

## التمهيد:

إنّ الحديث عن أبي حيان التوحيدي وأدبه متشعّب جدا، لذا لابد أن نقف وقفة قصيرة على أهم الجوانب التي أثرت في حياته ومشواره الأدبي.

ومن أهم المؤثرات العامة في حياة أبي حيان وأدبه تغلغل الثقافة العربية في الطبقات الشعبية في مجتمع بيئته: بغداد في القرن الرابع الهجري، وقد أعدّت لذلك عوامل مختلفة في مقدمتها المساجد إذ لم تكن في القرون الماضية بيوتا للعبادة والصلاة فقط، بل كانت أيضا معاهد مفتّحة الأبواب لتعليم أبناء الأمة من جميع الطبقات...فنشأت عن ذلك طبقة من شباب الأدباء تتنوع معارفها تنوعا واسعا بحيث يستطيع الأديب الشاب أن يتحدث حديثا شائقا في أي موضوع يتناوله، وهو ما دفع إلى القول بأن الأدب هو الأخذ من كل علم وفن بطرف.

وعامل ثان عمل تغلغل الثقافة العربية في الطبقات الشعبية هو إنشاء أثرياء بغداد لمكتبات عامة يختلف إليها الشباب والشيوخ ويتزودون منها بما يريدون مما قرأوه في كتب الأدب واللغة أو كتب الدراسات الدينية أو كتب العلوم من كل صنف أو كتب الفلسفة أو دواوين الشعر، وعامل ثالث هو نشاط الوراقة والوراقين ببغداد... وكان الوراقون يقومون في بغداد مقام أصحاب المطابع والمكتبات في عصرنا، وكانوا يعرضون مخطوطات لمئات الكتب بل لآلافها، ونرى ابن نديم المعاصر لأبي حيان يحاول إحصاء الكتب لعصره في كتابه "الفهرست" ويفرد لكتب اليونان والفرس والهند صحفا كثيرة كثرة مفرطة، سوى آلاف الكتب في الدراسات اللغوية والدينية، وكل هذه الكتب وكل هذه العوامل السالفة جعلت الثقافة العربية ثقافة شعبية في متناول الطبقات العامة.[1]

[1] شوقي ضيف، من المشرق والمغرب بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، جماد ثاني، 1419هـ - أكتوبر1998، الصفحة 51-52.

وقد انظمّ إلى العوامل السالفة الذكر عوامل أخرى نذكر منها:

## أولا: العامل السياسي:

إنّ الحالة السياسية لمنتصف القرن الرابع الهجري – تحديدا – تختلف عما قبله، فإذا كان عصر الجاحظ – القرن الثاني الهجري – عصر استقرار وازدهار، ثبتت قواعد الدولة العباسية في العراق وفي عاصمتي الخلافة بغداد، وسُرّ من رأى (سامراء الحالية) على عهد هارون الرشيد وابنيه المأمون والمعتصم بالله – باني مدينة سامراء سنة 221هـ – فإنّ عصر التوحيدي ملأته الفوضى والاضطرابات السياسية، فالقرن الذي أولده، وشبَّ فيه، واكتهل، وشاب، هو العصر العباسي – القرن الثاني الهجري – ففيه فسدت عصبية العباسيين، فلم يتبق لهم كلمة مسموعة ولا رأي جامع ولا قوة ولا سلطان نافذان، أو حتى كيان يرتجى معه بقاء هيبة الدولة والسلطان، فالأعاجم تغلغلوا في جسم الدولة العربية الإسلامية، وتسلطت على مقادير الأمور، وما إن دخل القرن الرابع الهجري حتى أصبحت الأمور تلتوي ودولة الخلافة العباسية تتضاءل، وتتراجع، وقد شمل الضعف معظم أوضاعها. إنّ هذه الصورة القاتمة بجوّها الملبَّد بالاضطرابات هي التي ميزت عصر أبي حيان، فقد برزت من الناحية السياسية سيطرة الدولة البويهية ابتداء من سنة 231هـ.

وقد عاث البويهيون في العراق خرابا وفسادا، وفعلوا الأعاجيب من اقتسام الملك، وبث الفوضى والعبث بالخلفاء المسلمين طيلة 113 سنة فترة تسلطهم على العراق، وقد صوّر التوحيدي ذلك لأنهم أرادوا محو الوجود العربي،[1] فكانوا على حد قوله: "أعجوبة الأعاجيب في انقسام الملك وانتشار الفوضى، وذيوع الفتنة والاضطراب والعبث بسلطان الخلفاء، والتحكم في مصايرهم على ما يحلو للمهيمن المتسلط من الولادة والحكام".[2]

وثمة أمر تزامن مع اقتسام الدولة العربية الإسلامية أيام بني بويه، هو وجود ترف ورفاهية مفرطة، إلى جانب فقر وبؤس وضنك في العيش بين عامة الناس إضافة إلى كثرة الفرق والطرائف.[3]

---

[1] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، دار الأوائل، سوريا دمشق، الطبعة الأولى، سنة2002 الصفحة 11-14.

[2] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (دط)، ص12.

[3] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، صفحة14.

فعنصر غلبت على أيامه قسوة الحاكمين والبويهيين* والمواجع التي قاسى منها عامة الناس طالت سلبياته الكتّاب والأدباء، الذين ذاقوا من تلكّم الانعكاسات السلبية الأمرين، ومنهم التوحيدي الذي تجده قد تأثر بظروف عصره السياسية، وقد انعكس ذلك كله في مساراته للوزير ابن سعدان، إذ غالبا ما تراه ينفعل إزاء ما يسمع، ثم يتخذ مواقف سياسية جريئة في كتاباته، ويصدر أحكاما في رجال سياسيين اشتهروا في عصره كالصاحب بن عباد(**) وابن العميد(***) و ابن سعدان في مسامره في الإمتاع والمؤانسة.[2]

## ثانيا: العامل الثقافي.

إزّاء هذا الانحطاط السياسي ارتقت الحياة العقلية، فكأن العلوم والفنون لا ترقى إلا في عصور الفوضى والاضطراب.[3] فمن الحقائق المقررة في تتبع الحركات العلمية والأدبية إنما لا تتمشى مع

---

*البويهيين: أصل البويهيين رجل فارسي يدعى بويه، من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين وقد قامت دولتهم على أكتاف أولاد "بويه" الثلاثة: علي – عماد الدولة – والحسن – ركن الدولة – وأحمد – معز الدولة...

ولقد حل البويهيون الفرس، محل الأتراك في حكم فارس والعراق فنعمت الخلافة العباسية بشيء من الاستقرار في ظل السيطرة البويهية، وطالت مدة حكم الخلفاء...ذلك أن الخلفاء العباسيين كان قد اعتراهم الضعف وتدهور نفوذهم فعلا مثل وقوع الخلافة تحت سيطرة بني بويه...وانتهت الدولة البويهية على يد الأتراك السلاجقة عندما دخل زعيمهم طخرليك مدينة بغداد سنة 447هـ/1055م الذي قضى على آخر ملوك البويهيين والملك الرحيم.

إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، بيروت – لبنان الطبعة1، 1989، الصفحة152-157.

(**) الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن العباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس الطلقاني، كان نادرة الدهر أعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب "الجمل" في اللغة وأخذ عن أبي الفضل ابن العميد وغيرهما، أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد فقيل له: صاحب ابن العميد، كان مولده، 326هـ، وتوفي 385هـ.

بن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، 1398_1978، الصفحة[228-231].

(***) أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد والعميد لقب والده، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل. أما ولده أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة وقد تقدم ذكرهما وتولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي ابن القمي، وذلك في سنة 328 وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد من زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل المقدار من أتباعه الصاحب ابن عباد وتوفي ابن العميد المذكور في صفر وقيل في المحرم بالري وقيل ببغداد سنة360.

بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت،1398هـ، 1978، الصفحة[103-109].

[2] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، صفحة14.

[3] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة16.

العصور السياسية مشى التلازم المحض، فتظفر مع السياسة وتهبط بهبوطها، لأن السياسة حركة قد تجيء مفاجئة، وقد تجيء على مهل وتدبير، أما الحركة العلمية والأدبية فلابد لها من تمهيد طويل، ولابد لانقطاعها أو ضعفها من مهلة زمنية تطول أو تقصر.[1]

فقد نتج عن تفكك الدولة العباسية أن عمد أمراء الدول الصغيرة سواء لأسباب سياسية أو بدافع حب الظهور، أو الإبقاء على تقاليد بغداد – إبّان مجدها – إلى تشجيع العلماء، وتقريب الفئة الممتازة من الأدباء والشعراء، والعطف عليهم...فغدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقافة العربية، واستمرت الحركة العلمية التي ظهرت زمن المأمون في سيرها المطرد وظل العرب عاكفين على الإفادة من التراب الضخم الذي خلفته جهود العلماء والمترجمين في العصور السابقة.

وعلى الرغم من أن بني بويه كانوا جماعة من شيعة الفرس ومن أن "العناصر العربية في عهدهم كانت معرضة لغلبة التيار الفارسي" فإنّ أعجميتهم لم تحل دون تشجيع اللسان العربي فقد كان كثيرون من البويهيين ووزرائهم على جانب من الثقافة، حتى أصبح أساس الاختيار للوزراء عندهم شيئين: "القدرة الإدارية والقدرة البلاغية". ومن أشهر هؤلاء الوزراء ابن العميد أكتب أهل زمانه والصاحب بن عباد، وهو الذي جعل داره مجمعا لطوائف الكتاب والمنشئين والقراء والمتكلمين، ولقد وصف التوحيدي مجلسه فقال: "وهل عند ابن العباد إلا أصحاب الجدل الذين يشبغون ويجتمعون ويتصايحون".[2]

كان من جراء هذه العوامل نبوغ الكثيرين من العلماء والأدباء والفلاسفة والفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصحاب المذاهب المتصوفة، وأصبحت مدن كثيرة في العراق وفارس مراكز للحركات العلمية كبغداد والبصرة والكوفة في العراق والرّي وأصفهان وشيراز وسيراف في فارس.[3]

[1] أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، دار العلوم، جامعة القاهرة، (دط) (دت)، الجزء الأول، الصفحة16.

[2] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، الصفحة[16-18].

[3] المرجع نفسه، الصفحة [18-19].

وذهب إلى ذلك الأستاذ أحمد أمين إذ يقول: "فنحن نستنتج من هذا العلم والسياسة لا يتماشيان جنبا إلى جنب حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذاك. بل قد يكون الأمر على العكس، قد يكون الضعف السياسي متمشيا مع زهو العلم"[1]

ومن جانب آخر يلاحظ انتشار الحركات الفلسفية وعلى الجملة (كانت الحركات الفلسفية في العراق من أرقى الحركات الفلسفية في المملكة الإسلامية).

وبذلك نجد أن هناك ثلاثة أسباب وراء النهضة العلمية في هذا العصر (القرن الرابع الهجري) :

فأولها: حركة الترجمة التي قدمت للعقلية العربية زادا كبيرا فكانت الخطوة الثانية هي إعمال العقل.

ثانيها: هو تعدد المراكز الثقافية فبدلا من أن كانت بغداد هي مركز الإشعاع والاستقطاب، أصبح هناك أكثر من مركز ثقافي، يتجه إليه العلماء ويقصدونه، فكان هذا التعدد من جهة ثانية دافعا للثراء الثقافي.

ثالثها: هو خطورة العمل السياسي، وخصوصا في أوقات الأزمات والفساد السياسي والصراع على السلطة إذ أن هذه الأوضاع قد تؤدي بالمشترك فيها إلى البطش به والتنكيل وإنما تحسن السياسة ينشر العدل والطمأنينة فإن فسدت وساد الظلم فإن من العلماء من يؤثر السلامـــة فيركن إلى حيــاة العلم، وينشغل ببحثه بدلا من الألاعيب السياسية غير المأمونة.[2]

## ثالثا: العامل الاجتماعي والاقتصادي:

يُعدّ الواقع السياسي الذي ألمحنا إليه آنفا إفرازا طبيعيا كما عكسته مؤلفات أبي حيان – للحالة الاجتماعية العامة – فإن الواقع الاجتماعي بمفهومه الخاص ليس إلا امتدادا حتميا للحالة السياسية القائمة وقتذاك، فكل جانب في واقع الأمر – أخذ بحجر – غيره من الجوانب والعلاقة الشكية تبادلية، وعوامل التأثر والتأثير بادية على ابرز وجه.

[1] وسيم إبراهيم، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى، 1994، صفحة15.

[2] المرجع نفسه، صفحة18.

فقد بلغت الحال من الشدة والضيق وقلة ذات اليد إلى ارتفاع الأسعار في سنة(331هـ) حتى قيل: "إن الناس أكلت الكلاب، وصار الجراد زاد الناس، فبيع كل خمسين رطلا بدرهم". وعلى الرغم مما يبدو من الغرابة لنا في رواية ابن كثير عن سوء الحال والأحوال في عصر أبي حيان القلق، إلا أنّ مجمل تأوهات وشكاية كتابه تفضي إلى جواز وصول الحال إلى ما آل إليه الواقع المعاشي وقتذاك، لأن الحالة 'جتماعية أصبحت في نهاية القرن الثالث الهجري شبيهة بالحالة السياسية، إذ أعقب فقدان الاستقرار السياسي فساد في الوضعين الاجتماعي والاقتصادي وتباعد في الطبقات الشعبية وسوء توزيع للثروة العامة، فعكف فريق من الرؤساء والأغنياء – كما هي الحال في عصـور الفوضى السياسية – على الترف والبذخ واللهو، وترى أن أفراد الشعب، ومنهم المفكرون، قد حُرموا من القوت الضروري، وقد أورد أبو حيان أمثلة عن حالة البؤس التي انحدر إليها مفكرو وأدباء عصره. فهذا أستاذه (أبو سعيد السيرافي)* وعنده عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع أهل الأرض، لكنه كان: "ينسخ في اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش". إن هذا الاضطراب في الحالة الاجتماعية والاقتصادية وآثاره التي أثرت على بعض المفكري أيًا كانت منزلتهم في رحاب الأدب أو تفوقهم فإنهم سبحون في فلك السلطان إذا ما أرادوا الحياة المترفة، وإن وقوفهم هذا يعني المجاراة في الحق والباطل نتيجة الأوضاع السياسية في البلاد آنذاك...أما العلم والمعرفة الثقافية أيا أبي حيّان، فعلى الرغم من بروزهما في خضم اضطراب الأحوال فإنّ طائفة من العلماء قد شقّت طريقها وسط الأمواج الصاخبة لتؤدي دورها في إحداث نقلة وحركة تغيير في شؤون المجتمع العربي، ولكن هذه الثُلّة لا يعوّل عليها بكل الأحوال.[2]

* أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المزربان السيرافي، نسبة إلى سيراف: فرضة عظيمة لفارس وهي مدينة جليلة، وهي من أغنى بلاد فارس...وهو النحوي اللغوي الإخباري...أكمل كتاب أبيه الذي سماه (الإقناع) وهو كتاب جليل نافع في بابه...وكان دينا صالحا ورعا متقشفا...كان مولده في سنة330هـ، وتوفي385 وعمره خمس وخمسون سنة.

(بتصرف) بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الـ ـان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد السابع، (دت)، صفحة[72-74].

[2] محمد رجب السامرائي أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، دار الأوائل، سوريا – دمشق، الطبعة الأولى، سنة2002، الصفحة[15-16].

فالحياة الاجتماعية والاقتصادية التي هوت بعامة الناس قد جرّت معها نحو القاع الفكر وبالأخص ما يصل منه بجانب الأدب والفن نحو مجالس الحكام والأمراء، وبذلك طغى جانب التزلق والملق من سلطان العلم وقوة الفكر قبس قليل حيث يشير إلى ذلك بقوله: "كانت حياة الأديب تجري جوّ تسوده الدسائس والمؤامرات والتناحر والتملق، فبعد الأديب عن المثالية، وحصرت رسالته في الفوز بالمجد والثورة والشهرة من أقرب سبيل، ولذا جفّ ينبوع العاطفة الصادقة، وغلب على الأدب المبالغة المنافية للذوق والعقل، وتلون التسول والتضرع والاستعطاف".

إن ظروف الحياة الاقتصادية الشاقة كانت عاملا مساعدا على زيادة الاتجاه نحو التكسب بالشعر، لأن الحياة هذه انتابها كثير من الخلل والفساد بسبب سوء سياسة الحكام وعدم تفكيرهم في تحسين حال رعاياهم:"ونتيجة لجشع وجود الحكام المتسلطين على الناس فإن الجبايات والرسوم لضرائب ازدادت في المجتمع، إضافة لوجود المجاعات، مما عز كثير من العامة الحصول على القوت وضرورات الحياة اليومية".[1]

وقد تأثرت الآداب والفنون بهذه الحالة الاقتصادية السيئة فتجمع الأدباء في قصور الخلفاء والأمراء طلبا للرزق، وكان جُلّ هم أحدهم الاتصال بوزير وأمير ينسى بقربه الفاقة والعوز، وكانت حياة الاديب تجري في جو تسوده الدسائس والمؤامرات والتناحر والتملق. فبعد الأديب عن المثالية، وحصرت رسالته في الفوز بالمجد والثروة والشهرة من أقرب سبيل، ولذا جف ينبوع العاطفة الصادقة، وغلب على الأدب التكلف والمبالغة المنافية للذوق والعقل، وتلون بلون التسول والتضرع والاستعطاف حتى صرنا نرى أديبا كبيرا كالتوحدي يخاطب أبا الوفاء المهندس* معتذرا بقوله: "أنا سامع مطيع وخادم شكور، مثلك يعفو ويصفح، وأنت مولى وأنا عبد، وأنت آمر وأنا مؤتمر...أأنا أدعك واجدا عليّ؟ وأرقد وأنت ماقت لي؟ وأجد حس نعمة أنت وهبتها إليّ؟ وألذ عيش أنت أذقتني حلاوته؟

[1] المرجع السابق، الصفحة [16-17].

*أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحي بن إسماعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور، أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته...وكانت ولادته سنة328هـ، بمدينة بوزجان، وتوفي سنة 387هـ

بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت – المجلد الخامس، 1397هـ، 1977خ، الصفحة167.

أأنسى أياديك وهي طوق رقبتي، وتجاه عيني، وحشو نفسي، وراحة حلمي، وزاد حياتي، ومادة روحي؟".

أو كما كتب إلى الوزير ابن العميد مستعطيا: "أصلح أديمي فقد حلم، وجدد شبابي فقد هرم، وأنطق لساني في اصطناعي، فقد شردت صحائف النجح عند انتجاعي، ورش عظمي فقد براه الزمان واكس جلدي فقد عراه الحدثان" ولذلك "إذا أحصيت الأدب الذي قيل في المديح رجحت كفته على الأدب الذي قيل لباعث نفساني".

وشيء آخر نتج عن فساد الحياة الاقتصادية نجد صداه في الأدب وهو أن أصحاب السلطان عمدوا إلى الاعتداء على الرعية ومصادرة الأموال سدّا لحاجاتهم الإسرافية إلى المال، مما دعا الناس -دفعاً للشر على أنفسهم-، إلى الظهور بمظهر الفاقة، فمدحوا الفقر وذموا الغنى، وسرت فيهم روح الكآبة، وذم الزمان وأهله، والشكوى من الظلم، فقويت نزعة التصوف والتوكل فأحدثت تيارات فكرية ماثلة في أدب هذا العصر بصورة عامة، وفي أدب التوحيدي بصورة خاصة.[1]

## رابعا: العامل الأخلاقي:

ورافق العوامل السالفة الذكر عامل آخر أثر في حياة أبي حيان وأدبه، ألا وهو العامل الأخلاقي فإنّ الحروب وارتفاع الأسعار جعلت المعيشة في بغداد قاسية فاختلت الموازين وساءت أخلاق كثيرين وظن بماله من عرف بالثراء حتى على أخيه وصديقه، وكثر بين البغداديين – خوفا من الحكام الظالمين – سوء الظن وكثرة الوشايات والاتهامات يتقرب بها ضعاف النفوس إلى الحكام وأولى الأمر لعلهم يصيبون منهم منفعة، وكأنما أصبح كثير من الناس قرناء سوء، وقلما يوجد بينهم صديق مخلص أو من يتشبه بالصديق.

وكل ما ذكرت من مؤثرات في مجتمع بغداد كان له أثار بعيدة الغور في حياة أبي حيان وأدبه، إذ كان من الطبقات الشعبية الذين أتيح لهم عن طريق المساجد وحلقاتها المتعددة أن ينهملوا ويرتووا من أساتذة مختلفين، وقد ذكر أبو حيان من أساتذته الرماني في البلاغة، وأبا بكر الشافعي في

[1] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة [21-23].

الحديث وأبا حامد المروروذي في الفقه والسيرافي في النحو واللغة، وجعفر الخلدي في التصوف، ويحي بن عدي في الفلسفة.[1]

**التوحيدي والصوفية:**

لم يكن أهل السنة راضين بحال من الأحوال عن الصوفية، فالتصوف نشأ في الإسلام في شكل مظاهر زهدية تقشفية بسيطة، ثم طرأت عليه تأثيرات خارجية، مستمدة من التعاليم المانوية والهندية أبعدته عن قواعد السلف وتعاليم الإسلام الصحيح، مما جعل التصوف موضع ريبة أصل السنة وحذرهم، حتى أصبحت كلمة الصوفية مرادفة للزندقة،كما أصبحت الدعائم التي يقوم عليها التصوف كالتقشف، والفقر، وتذليل النفس، واستعمال الرموز والكلام الغامض بدعا مرادفة للزندقة في نظر أهل السنة. وقد حاول المستشرق **ماسينيون** إظهار العوامل التي أدت إلى مزج الصوفية بالزندقة فقال: "إنّ نزعة التقشف المعروفة عند المانوية، قد أتاحت لجماعة السنة عند المسلمين الفرصة للتقريب بين كلمتي الزندقة والتصوف كما أنّ نظرية الحب الإلهي التي اشتقت من النظرية المانوية، ونظرية الحل والاتحاد بالذات الإلهية التي نادى بها الحلاج ولقى حتفه من أجلها، ونزعة التوكل والجبر، وجميع القواعد العملية الأخلاقية التي تتعلق بفكرة التوحيد الصوفي، كل هذا اعتبر منافيا للشرع، حتى إن التكلم بألفاظ الصوفية المغلقة كان يعتبر زندقة، ويمكن أن يسبب لقائله ضررا وشرا".

وكان مذهب التصوف يأخذ شكلا خطيرا عندما كان يمس قواعد الإسلام وأركانه، ويقول غولد زيهر: "كان شيوخ الصوفية القدماء يفضلون في إتمام شعائر الإسلام التقليدية حركات القلوب على حركات الجوارح دون أن ينتقصوا من قيمة هذه، وأن يعتبروها من النوافل، ولكنهم لا يثبتون لما قيمتها ومعناها إلا إذا شاركتها حركات، فليست الجوارح بل القلوب التي تعتبر أداة للحياة الدينية" وكان في هذا العصر كما يقول متز: طائفة كبيرة بين الصوفية، لا يجعلون للحج ماله من شأن، ويحكي عن أحد الصوفية الأولين أنه أمر أحد الحجاج بالرجوع عن الحج والقيام بحقوق أمه، ويؤثر عن صوفي أنه

[1] شوقي ضيف، من المشرف والمغرب بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، جماد الثاني، 1419هـ، أكتوبر1998، الصفحة53.

قال: عجبت لمن يقطع البوادي والقفار ليصل إلى بيت الله وحرمه، لأن فيه آثار انسبائه كيف لا يقطع نفسه هواه حتى يصل إلى قلبه لأن فيه آثار مولاه.[1]

أوردنا هذا التخلص إلى القول بأن التوحيدي ألّف كتابا في "الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي" ويعتمد الخوانساري أنه "نظير ما كتبه حسين بن منصور الحلاج في كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المخذولة، فصار عمدة السبب في قتله بأفظع ما يكون" ويذكرنا كتاب الحج العقلي بمحاكمة الحلاج التي وصفها ابن الأثير في تاريخه وصفا دقيقا والأستاذ ماسينيون في كتابه عن لاج، ومما اتهم به هذا الأخير أثناء محاكمته أن الوزير حامد بن عباس وزير المقتدر رأى له كتابا حكى فيه" أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه، أفرد من داره بيتا لا يلحقه شيء من النجاسات، ولا يدخله أحد، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل أجود طعام يمكنه وأطعمهم في ذلك البيت وخدمهم بنفسه فإذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمن حج" ذلك أن للحج العقلي علاقة بتقليد صوفي قديم "أعمال القلوب فوق فرائض السنة".

ونحن نعلم أن التوحيدي كان صوفيا، يؤمن بوحدة الوجود وهي آخر مرحلة من مراحل التصوف تقرب من الزندقة، فهل تأثر بتعاليم الحلاج الحلولي؟

من الصعب الجزم بذلك ما دام كتاب الحج العقلي الذي أودعه آراءه مفقودا، ولكن المهم هو أن هذا الكتاب كان من أسباب اتهام التوحيدي بالزندقة والكفر.[2]

[1] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة[107-109].
[2] المرجع نفسه، صفحة 109-110.

**التوحيدي والاعتزال**[*] :

كان التوحيدي معتزليا "جاحظي المسلك"[1] وكان له في التوحيد "لسان خاص" وهو بحكم اعتزاله قائل "بالتعطيل" وهو تجريد الذات الإلهية من الصفات، ويعتبر التعطل في نظر أهل السنة من أولى درجات الزندقة ووحدة الوجود، والقول بالتعطل يتصل بفكرة التوحيد، وهو أصل هام من الأصول الخمسة(**) التي يقوم عليها مذهب الاعتزال، ولفكرة التعطيل أهمية كبرى في تاريخ المذاهب الكلامية، نظرا للجرأة التي أظهرها المعتزلة في تحليل وتفسير فكرة التوحيد.

يؤمن المسلمون بالتوحيد، على اعتبار أنه من الأسس التي قام عليها الدين، وينزهون الإله عن الصفات ممتنعين عن البحث في السور القرآنية التي ترمز إلى الصفات الإلهية والتجسيد أو التشبيه ولذا يقول أبو الحسن الأشعري خصم المعتزلة معبرا عن ذلك بقوله: "إنّ أهل السنة ينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثا التي جاءت بها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ لا يقولون كيف – ولا لما – لأن ذلك بدعة".

أما المعتزلة الذين عرفوا بتقديسهم للعقل فقد حاولوا تبعا لمذهبهم العقلي تفسير الآيات القرآنية التي لها مساس بالذات الإلهية والتجسيد؛ فكان تفسيرهم مسايرا طبعا لفكرة التوحيد والتنزيه، فأنكروا الصفات "ونفوا الأشكال والحدود من الأقوال والأعراض من الساحة الإلهية، فالإله متحد مع صفاته موجود في وحدته لأن من ينسب إلى الله صفات لابد أن يشرك بوحدانيته التي هي ذات الإله

---

*الاعتزال(المعتزلة): اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرف في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل ابن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري.

– **أصل التسمية**: التفسير الشائع الذي أورده كتاب الفرق كالبغدادي والشهرستاني، ومن على شاكتهما، والذي يفيد بأن كلمة المعتزلة لفظ أطلقه أعداؤهم من أهل السنة عليهم للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم، وتركوا مشايخهم القدامى، واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة...فالمعتزلي هو المخالف والمنفصل. عواد عبد الله المعتق المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها [13-15].

(**) الأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أحمد بن عبد العزيز، الحصين موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، دار عالم الكتب، المملكة العربية، السعودية، الجزء1، 1428.

[1] بتصرف: ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى سنة1993، صفحة1924.

وصفاته شيء واحد، لأن "من اعترف بالوجدانية كما يقول التوحيدي ثم شبّه فقد ارتجع ما قال ونقض ما عقد، وأما من ذكر أكثر من واحد، فقد ظل عن الحق كل الضلال، وأما من أشار إلى الذات فقط بعقله البريء السليم من غير تورية باسم، ولا تحلية برسم، مخلصا مقدّسا، فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقته البشرية، لأنه أثبت الآنية، ونفى الأينية والكيفية، وعلاه عن كل فكر وروية".

وأما الآيات القرآنية التي ترمز إلى التجسيد، فقد عمد المعتزلة إلى طريقة التأويل المجازي، فاليدان والوجه والحركات التي ذكرها القرآن فسرت بطريقة رمزية معتمدين في ذلك على تخريجات لغوية طريفة في تفسير بعض هذه العبارات التشبيهية.

وفي كتب التوحيدي وبخاصة المقابسات مقاطع عدة تثبت قوله بالتعطيل مما سهل على الناس رميه بالكفر والزندقة تبعا لمذهب الاعتزال الذي ينتسب إليه.[1]

ولابد ورائهم أساتذة كثيرون، كان لهم تأثير في أدبه، إذ كان أدبه موسوعيا بحكم أنه ثقف معارف عصره الفلسفية والصوفية والبلاغية واللغوية والإسلامية، واستوعبها وتمثلها كأورع ما يكون التمثل والاستيعاب وكان ذكيا ذكاء حادا فأضاف إليها مالا يكاد يحصى من ملاحظات وآراء في الفلسفة والإلهيات والأخلاق والعقل والنفس والروح.

وأبو حيان لا يمثل الطبقات الشعبية في تغلغل الثقافة العربية في نفسه وعقله وتحوله بها إلى أدب موسوعي خصب فحسب بل هو يمثلها أيضا شابا من أبناء عامتها الذين كان يحف بمعيشتهم الشظف والضنك، ومع ذلك يصعدون إلى ذروة ثقافية فكرية لا يبلغها نظراؤهم من أبناء الطبقة المترفة، وهي ظاهرة عامة في العصر العباسي: إن الذين قادوا فيه الحركات الثقافية والأدبية والعلمية كانوا من أبناء الشعب، وكثير منهم كان من الطبقة العامة التي لا تعرف شيئا عمن خفض العيش وصفوه على نحو ما هو معروف عن الجاحظ أهم أدباء العصر العباسي وكتابه.[2]

[1] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة [111-116].

[2] شوقي ضيف، من المشرق والمغرب، بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، جمادى الثاني 1419هـ، أكتوبر1998، الصفحة53.

وقد اتبع التوحيدي طريقة الجاحظ التي تحتفظ بجمال العبارة ورصانتها، حيث أولى المعنى غاية اهتمامه، فهجر السجع وغيره منه المحسنات البديعية ومال إلى الإطناب والاستطراد، كما مال إلى أسلوب الكتابة الساخرة وإن بدت سخرية مرة في كثير من الأحيان.

وقد أدلى إبراهيم الكيلاني في رسائل التوحيدي بقوله:"كان التوحيدي من أكبر المعجبين بالجاحظ يسلك في تصانيفه مسلكه، ويشتهي أن ينتظم في سلكه" ولذا كان يكثر من مطالعة أثاره ويُعنى بكتاب الحيوان، ويتوفر على تصحيحه، وقد بلغ من إعجابه بل أن ألّف رسالة أسماها "تقريظ الجاحظ" جاء فيها: "...والذي أقول، واعتقد، وآخذ به، واستهم عليه، أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر إلا ثلاثة، لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم، ونثر فضائلهم في أخلاقهم ومهم، ومصنفاتهم، ورسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم أحدهم هذا الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة وبسببه جشمنا هذه الكلفة، أعني أبا عثمان عمرو بن بحر" ولم يقف إعجاب التوحيدي بالجاحظ عند حد المواهب العقلية، بل تعداه إلى أسلوبه الكتابي فقد قال معددا أركانه: "إن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عن كل إنسان، ولا تجتمع في صدر كل أحد: بالطبع، والمنشأ، والعلم والأصول، والعادة، والعمر، والفراغ، والعشق والمنافسة، والبلوغ، وهذه المفاتح قلما يملكها واحد وسواها مغالق قلما ينفك منها واحد"[1]

ومن المؤكد أن أبا حيان زار المكتبات العامة مرارا واقتنى منها كثيرا من معارفه بحيث كانت رافدا مهما من روافد ثقافته الموسوعية – وجذبته – منذ شبابه – حرفة الوراقة لارتفاع عائدها، مما جعل بعض كبار العلماء والأدباء البغداديين يتخذها وسيلة لعيشه هو وأسرته، وكانت من أكبر الأسباب في اتساع ثقافته بل في استحالتها ثقافة موسوعية، فقد قرأ – وكتب بيده – كثيرا من الكتب في الآداب والعلوم والفلسفة، وكانت حافظته قوية، فانطبع فيها كثير مما قرأه نثرا وشعرا، واشتهر بشغفه

[1] أبي حيان التوحيدي، الرسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة [125-126].

بكتب الجاحظ وتوفره على نسخها وخاصة كتاب الحيوان، وكانت النسخ التي يكتبها منه تعد نسخا قيّمة وتذر عليه مكافئات كبيرة.[1]

وعلى الرغم من الصورة القاتمة تلك التي عرفناها في سني حياة التوحيدي خلال القرن الرابع الهجري، والذي يعد من جانب الحياة الأدبية عصر النضج الثقافي والعلمي، فإنه كان بمثابة مكتبة جامعة لأكثر هذه الثقافات العامة، فهو عالم واسع الآفاق والمعرفة، خبير باللغة والنحو والأدب.[2]

ونرى أن التوحيدي يهتم باللغة أداة الفن الأدبي ويحاول الكشف عن أثر الاختلاف القائم في النفس بين كلمة وكلمة أخرى لهما المعنى نفسه، كما أنه يورد لنا آراء حول تفسير نشأة اللغة كحاجة اجتماعية ثم استخدامها في الأدب.كل ذلك انطلاقا من اهتمام التوحيدي الكبير في الفن الأكثر شارا في عصره بين الفنون، والأشد تأثيرا في الحياة الإنسانية والمجتمع المعاصرين له، على أننا من خلال ما سبق وما سيأتي نستنتج أن مفهوم الأدب عند التوحيدي هو مفهوم العصر الذي يعيش فيه، والذي كان يرى أن الأدب يشمل كل العلوم الإنسانية كالفلسفة والتاريخ إلى جانب الشعر والنثر.[3]

كما عدّ التوحيدي خبيرا بالكلام والفلسفة والفقه والتصوّف، وربما لم يند عنه إلا الطب والكيمياء.[4]

وقد أدلى ياقوت الحمري برأيه حيث لخص التوحيدي في كلمات فقال: "شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عن الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه والثلب دكانه، وهو مع

[1] شوقي ضيف، من المشرق والمغرب، بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، جماد الثاني 1419هـ، أكتوبر1998، الصفحة54.

[2] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، دار الأوائل، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، سنة2002، الصفحة [29-30].

[3] حسين الصديق، فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي، دار القلم العربي، دار الرفاعي، سوريا-حلب، الطبعة الأولى، سنة1423-2003، الصفحة227.

[4] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، صفحة30.

ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثيرا التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية".[1]

فإذا عدّه الحموي شيخ الصوفية، فإن السبكي جعله من فقهاء الشافعية ومن المؤرخين الكبار اللامعين، وأعجب به من المحدثين وبفكره وأسلوبه "آدم متز" الذي قال بحقه إنه: "أعظم كُتَّاب النثر العربي على الإطلاق" في حين عدّه "زكي مبارك" على رأس كتاب الآراء والمذاهب في القرن الرابع الهجري.[2]

ترك أبو حيان التوحيدي خلفه إرثا نفسيا تزهو به المكتبة العربية في مجالات متعددة فليس غريبا على إنسان اتخذ من القلم حرفته، أن يجيء إنتاجه الفكري خصبا وافرا، خصوصا وأن صاحبنا قد عاش أكثر من قرن بأكمله، ولكن الظاهر أن حادثة إحراق التوحيدي لكتبه في أواخر أيام حياته قد حالت دون وصول الكثير من مصنفاته إلينا، فضلا عن أن بعض هذه الكتب لم يكن من المرغوب فيه، فلم يكن من المستحسن اقتناؤها أو الاحتفاظ بها.[3]

ولقد كنا نتوقع من عالم أديب مثله أن يفعل كل شيء، إلا أن يقدّم إلى النار ثمرات عقله وغراس قلمه، وفلذات نفسه، ونتائج كدّه وسهره. لكنه قد فعلها، ولكنه قد دافع عن فعلته دفاعا يحسبه مقنعا أو مبررا وهو لا إقناع فيه ولا تبرير. أما خلاصة دفاعه فهي:

1- أن كل حي مصيره إلى الفناء، إلا الخالق سبحانه.

2- أنه استخار الله في إحراقها.

3- أنها لم تنفعه، فقد عاش معدما، ولم تكسبه الوجاهة بين الناس.

4- لم يجد من يفهمها ويقدرها.

5- خشى أن يتخذها قوم بعد وفاته وسيلة للنيل منه إن كان بها سهو أو غلط، وقد عاين منهم في حياته تحاملا عليه، وترصد لهفواته.

---

[1] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة1993، صفحة1924.

[2] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، دار الأوائل، سوريا – دمشق، الطبعة1، سنة2002، الصفحة30.

[3] زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط) (دت)، الصفحة100.

**6-** أنه نيَّف على الثمانين، فلا أمل له في مجد أو غنى أو لذة حياة.

**7-** وقد مات خلّانه، فهو يوشك أن يلحق بهم.

**8-** وله أسوة بالعلماء الذين دفنوا كتبهم أو أغرقوهم أو مزقوهم أو أحرقوهم.

**9-** أن الشهرة بَهْرَج وزَيف، وإنما العبرة بالأعمال الصالحة والرضا.

**10-** أن الحرص على الكتب كالحرص على الذهب والفضة، وسيموت صاحب الكتب ويموت صاحب الذهب، ولا خير فيما جمع من كتب أو ذهب، وإنما الخير فيما قدم من عمل صالح.

**11-** أنه أحرق كتبه في حال يائسة، فقد كان مريضا، معسرا.

**12-** أن هذا قضاء الله وقدر.

وحقيقة حادثة إحراق كتبه كانت في غمرة من النقمة والألم واليأس والوسواس، ولسنا نشك في أنه بكاها بعد أن هدأت نفسه، وفي أنه كان يتمزّى عنها بأن نسخا منها عند بعض الناس.

وما من شك في أن المكتبة العربية كانت ستخسر خسارة فادحة، لو أن هذه الكتب قد توارت مع الزمن، ولو لم يحتفظ بها الذين كانوا قد اقتنوها، وحرصوا عليها.[1]

وقد أورد ياقوت الرومي في معجمه ثبتا بأسماء بعض كتب أبي حيان، فنص على ثمانية عشر كتابا هي:

1 ـ الهفوات لابن الصابي 2- الصداقة والصديق 3- الرد على ابن جني في شعر المتنبي 4- الإمتاع والمؤانسة 5- الإشارات الإلهية 6- الزلفى 7- المقابسات 8- رياض العارفين 9- تقريظ الجاحظ 10- مثالب الوزيرين 11- الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي 12- الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة 13- الرسالة البغدادية 14- الرسالة في أخبار الصوفية 15- الرسالة الصوفية 16- الرسالة في الحنين إلى الأوطان 17- البصائر والذخائر 18- المحاضرات والمناظرات.[2]

[1] بتصرف: أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، دار العلوم، جامعة القاهرة، (دط)، (دت)، الجزء الأول، الصفحة [113-115].

[2] زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء – الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط) (دت) الصفحة[100-101].

إنّ شخصية أبي حيان كانت في صميمها شخصية متناقضة تحيا على الصراع والتوتر والتمزق الداخلي، وآية ذلك أن أبا حيان الذي يقول أن "الدنيا حلوة خضرة، وعذبة نضرة" هو أبو حيان الذي ينادي بالزهد والقناعة، ويدعو إلى التصوف والتنسك، وأبو حيان الذي يلتمس عطاء الوزراء ويترامى على أبواب الكبراء هو أبو حيان الذي يقول إن حب السلامة غالب عليه، وإن القناعة بالطفيف محبوبة عنده، وهو الذي يستشعر الغنى عما في أيدي الناس، ويدعو الله أن يصون وجهه عن الحاجة إليهم والطلب منهم، وأبو حيان الذي يستسلم لليأس، وينادي بالتشاوم، ويرفع عقيرته بالتمرد والسخط والشكاة، هو أبو حيان الذي ينطلق في عالم الفكاهة، ويضحك ملء شد فيه ويسترسل في رواية النكات والنوادر والملح المجونية، وأبو حيان الذي يدعو إلى العمل من أجل الآخرة والسعي في طلب المنزلة عند الله، هو أبو حيان الذي يقول أن العاجلة محبوبة والرفاهية مطلوبة! فهل من عجب بعد ذلك في أن يكون أبو حيان فيلسوفا ومتكلما، أديبا وعالما، فقيها ومتصوفا، نحويا ومنطقيا، فنّانا ومفكرا.[1]

إن كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي وهو مدونة هذه الدراسة يعتبر رسالة قيمة في تراث الحضارة العربية لما له من أهمية كبيرة خاصة في خدمة ثقافة العرب المعاصرة، "ويعد تسجيلا لمجلس ثقافي يعبر عن مجالس العصر".[2]

ويعتبر هذا الكتاب مصدر ثمين لدراسة أدب التوحيدي من جهة والحياة الفكرية والاجتماعية زمن بني بويه من جهة أخرى، ولا نجد أبلغ من عبارة القفطي في وصفه حين قال: "هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم، فإنه خاض كل بحر وغاض كل لجّة".[3] والإمتاع والمؤانسة مسامرات متنوعة في فنون شتى، فنجد مفاضلة بين الحساب والبلاغة، ومفاضلة أخرى بين النظم والنثر، وأحاديث طويلة في الحيوان وغرائبه، وكثيرا من النوادر عن البخلاء والطفيليين، وفكاهات ماجنة وغير ماجنة، وكلاما في النبات والمعادن، وحكما عربية، وأقوالا مختلفة في الغناء والطرب...الخ.

[1] المرجع السابق، الصفحة 99.

[2] حسن الملطاوي، الله والإنسان في فلسفة أبي حيان التوحيدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، (دط)، 1989، الصفحة20.

[3] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، الصفحة82.

وكتاب "الإمتاع والمؤانسة" – كما هو معلوم – مقسّم إلى أربعين ليلة: فهو أشبه ما يكون بكتاب ألف ليلة وليلة، وإن كنا هنا بإزاء ليالي فلسفة وفكر وفن وأدب، لا ليالي غرام وحب ولهو وطرب، "فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية في ملاهيها وفتنها وعشقها فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية: كيف يبحثون، وفيما يفكرون وكلاهما في شكل قصصي مقسّم إلى ليال، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة". وأما أسلوب الكتاب فهو أسلوب التوحيدي المعهود: جزالة وسهولة في العبارة، مع إطناب وإطالة في تصوير الفكرة، وإكثار من الازدواج لتنغيم العبارات، مع اهتمام بالغوص والتعمق لسبر غور الموضوعات، وقد يحتذي التوحيدي حذو الجاحظ في الإسهاب والإطناب ولكن قلما ينساق وراء جمال اللفظ متناسيا عمق الفكرة، فضلا عن أنه لم يضح يوما بالمضمون لحساب الشكل.[1]

[1] زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، الدار المصرية للتأليف والترجمة (دط) (دت)، الصفحة [115-116].

# الفصل الأول

## محتويات الفصل الأول.

## المؤلِّف والمؤلَّف.

**المبحث الأول: التعريف بأبي حيان التوحيدي.**

1- اسمه.

2- مولده.

3- أصله.

4- حياته.

5- شيوخه وتلاميذه.

6- ثقافته.

7- أثاره ومؤلفاته.

8- وفاته.

9- شهادة العلماء فيه.

**المبحث الثاني:التعريف بكتاب الإمتاع والمؤانسة.**

**1- تعريف الإمتاع.**

**2- تعريف الأنس.**

**3- قصة التأليف.**

**4- هيكلة الكتاب ومواضعه.**

## المبحث الأول : التعريف بأبي حيان التوحيدي .

**أولا– اسمه** : علي بن محمد بن عبد العباس أبو حيان التوحيدي.[1]

يقول المحقق عبد السلام محمد هارون:("التَّوْحيدِي" بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة، ولم أجد ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة ،لا السمهاني ولا غيره، لكن يُقال إن أباه كان يبيع "التوحيد" ببغداد، وهو فرع من التمر بالعراق، وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله :

يترشّفْنَ من فميَ رَشَفاتٍ هُنّ فيه أحلى من التوحيد).[2]

وكنيته أبو حيان، وغلب عليه تلقيبه بالتوحيدي، والسبب في هذا اللقب أن أباه كان يبيع نوعا من التمر ببغداد اسمه التوحيد ... ويرى ابن حجر العسقلاني أن هذا اللقب يحتمل أن يكون نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين، لأن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العمل والتوحيد.

ولا نستطيع أن نرجح رأيا على آخر في تلقيبه بالتوحيدي، فربما كان أبوه يبيع هذا النوع من التمر وربما لقبه بالتوحيدي، بعض معاصريه أو لاحقيه ممن عرفوا مذهبه في التوحيد.

لكن الذي نوقن به أنه لم يعرض لهذا اللقب في كتاب من كتبه، على كثرة ما ذكر كنيته، ولم يشر من بعيد أو من قريب إلى نسبه أو إلى أسرته.

وقد نرجع هذا الإغفال إلى شعوره بأن أسرته من أوساط الناس، فلا سبيل إلى الحديث عنها أو الإلمام بطرف من تاريخها، وقد نضيف إلى ذلك خشيته من خصومه الذين لا يعرفون أصل أسرته والذين يعرفون أصلها، فليس من الحكمة أن يكشف عن حقيقة أسرته للذين يجهلونه، وليس من كمة أن يتحدث بهذه الأسرة إلى من يعرفونها، لأن في الحالين يفتح على نفسه بابًا لا ينظر من فتحه إلا الشر.[3]

---

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى سنة 1993، مج(5)ص1923.

[2] عبد السلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى1407هـ – 1987م، الصفحة 68.

[3] أحمد محمد الحوفي، أبوحيان التوحيدي، دار العلوم، جامعة القاهرة (د.ط) (دت) الجزء01، الصفحة 22–23.

وقد صرح التوحيدي بكنيته وبلقبه أيضا، إذ جاء في (مثالب الوزيرين): (وقال لي يوما آخر أعني ابن عباد يا أبا حيان من كنّاك أبا حيان ؟ قلت : أجلّ الناس في زمانه، وأكبرهم في وقته قال: من هو ويلك ؟ قلت : أنت، قال: ومتى كان ذلك: قلت: حين قلت لي يا أبا حيان).[1]

وعلى ذلك فالاحتمال الأول أقوى وأظهر، فهو نسبته إلى حرفة والده وهي بيع التمر المسمى بالتوحيد.

**ثانيا– مولده :**

كثيرا ما نجد عسرا في الكشف عن مولد عالم أو أديب أو عظيم من القرون الخالية، لأن الناس لم يكونوا يقيّدون مولد أبنائهم كما نفعل الآن، وقد يرتبط مولد الشخص بحدث جلل، بعين زمن استهلاله على هذه الأرض.[2]

ولقد استعصى على الباحثين والمؤرخين خاصة تحديد مولد التوحيدي تحديدا قاطعا بسبب إهماله بنفسه التعريف بأطوار حياته من جهة، ومن جهة أخرى تقاعس معاصريه عن الترجمة له في مصنفاتهم الخاصة.[3]

حتى أن ياقوت الحموي تعجب من صنيعهم قائلا: ( ولم أر من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دبجه في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب ).[4]

وجاء في المقابسات لابي حيان التوحيدي قول حسن السندوبي: (أما تاريخ ميلاده فقد أغفله كل من كتب عنه، غير أنه قد حدد سنّه في رسالته التي كتبها في سنة أربعمائة إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد حيث قال له: " فإني في عشر التسعين" إذ تعين أن ميلاده كان في العشرة الثانية بعد الثلاثمائة وعليه حق لنا أن نقول: ولد أبو حيان التوحيدي في بغداد سنة 312 وبها نشأ ).[5]

---

[1] حسن الملطاوي الله والإنسان في فلسفة أبي حيان التوحيدي، مكتبة مدبولي القاهرة (دط) سنة 1989 الصفحة 40.

[2] أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، دالر العلوم، جامعة القاهرة (د.ط) (دت) الجزء01، الصفحة 23.

[3] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي مذكرة الماجستير، أحمد بلخضر قسم اللغة العربية وآدابها جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2009، الصفحة23-24.

[4] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس الصفحة 1924.

[5] أبو حيان التوحيدي المقابسات تحقيق حسن السندوبي، دار سعاد الصباح الكويت، الطبعة 2، 1992 الصفحة8.

ويذهب محمد عبد الغني الشيخ نفس المذهب والرأي فيقول: (بعد الاعتراف بأن الغموض يحيط بمولده أنه ولد حوالي سنة 310هـ مستفيدا ذلك من كلام أبي حيان نفسه، فقد كتب رسالة سنة 400هـ إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد يعتذر فيها عما أقدم عليه من احراق كتبه ويذكر أنه في عُشر التسعين).[1]

ثم يأتي صلاح رسلان محقق كتاب الهوامل والشوامل أبي حيان التوحيدي ومسكويه يقول: " ولد التوحيدي في بغداد حوالي 310 أو 311 هجرية (على وجه التقريب) "[2]

كما نجد الطالبة أميرة محمد غيث في رسالتها الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي "دراسة لغوية" أنّ أبو حيان التوحيدي ولد على الأرجح عام 310هـ إذ لم يتفق من ترجموا على عام ميلاده.[3]

**ثالثا– أصلـــه:**

هذا سؤال مطروح في الكلام عن أصل التوحيدي...فهناك نقص في المعلومات الخاصة بسيرة التوحيدي الكاملة وإنما ذلك مرده إلى اختيار التوحيدي السكوت عن ذكر أخباره وحياته الخاصة وممن ذهب إلى أنه فارسي السندوبي قال: ( اختلف المؤرخون في أصله بين أنه شيرازي أونيسابوري أو واسطي، ومهما يكن من خلاف فلاشك في أنه فارسي الأصل وإلاّ سكتوا عن التعريف بأصله)[4]

وكما اختلفوا في اسمه اختلفوا أيضا في أصله وبلده، فبعضهم يرى أنه عربي وبعضهم الآخر أنه شيرازي.[5]

وجاء في قول ابن الجوزي : "كان زنديقًا ولد في شيراز(أونيسابور) وأقام مدة ببغداد".[6]

---

[1] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي الصفحة 24.

[2] أبو حيان التوحيدي ومسكويه الهوامل والشوامل تحقيق صلاح رسلان الهيئة العامة لقصور الثقافة (دط) سنة 1951 الصفحة7.

[3] أميرة محمد غيث الاشارات الالهية لأبي حيان التوحيدي دارسة لغوية رسالة لنيل درجة الدكتوراه علم اللغة، أحمد يوسف علي، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الزقازيق القاهرة، 2005 الصفحة 1.

[4] وسيم إبراهيم، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق ط1، 1994 ص23.

[5] أمال شيخ البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جمال حضري، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة لمسيلة 2010،ص14.

[6] خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت، ط5،1980، ج4، الصفحة 326.

ويقول ياقوت: إنه شيرازي الأصل، ويرى بعض الباحثين أنه نيسابوري وبعضهم أنه واسطي قدم بغداد فأقام فيها مدة، ويرجح أكثر الباحثين أنه فارسي الأصل، وزكي مبارك يقطع بأنه فارسي.[1]

كما جاء في الرسائل لأبي حيان التوحيدي، قول الذهبي: إنه «نزيل نواحي فارس».[2] أما الأستاذ "محمد كرد علي" فقد ذهب إلى أنه عربي، مستدلا بأنه لم يكن يعرف الفارسية.[3]

بحث الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه، «أبوحيان التوحيدي». عن اختلاف المؤرخين في إخبارهم عن التوحيدي:

- من ناحية العنصر: أهو فارسي أم عربي؟.

- ومن ناحية الموطن: أبغدادي هو، أم واسطي، أو نيسابوري، أو شيرازي؟.

وبعد أن ناقش الدكتور، ما اجتمع لديه من أدلة، وما توفر عنده من قرائن، هداه صفاء ذهنه ورهافة حسه، إلى إثبات أجوبة صحيحة على تلك التساؤلات.

ذكر في وصفه أنه كان صحيح البنية، قوي المزاج، جهير الصوت، قوي البدن، زري الهيأة، ووصف التوحيدي نفسه في الرسالة البغدادية، بأنه شيخ بلحية بيضاء، تلمع في حمرة وجه يكاد يقطر منه الحمر الصرف، وله عينان كأنه ينظر بهما من زجاج أخضر، تبصان كأنهما تدوران على زئبق واستقر رأي الدكتور، على أن أبا حيان كان عربي الأصل.

وجاءت الرسالة البغدادية، تؤيد هذا الاستنتاج، وتزيد عليها بأن عينت القبيلة التي ينتسب إليها التوحيدي، وهي قبيلة الأزد اليمانية.

[1] حسين الصديق، فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي، دار القلم العربي، دار الرفاعي، سوريا حلب، الطبعة الأولى سنة 1423-2003 صفحة 66.

[2] أبو حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للطباعة والترجمة والنشر(دط) ص28.

[3] أحمد محمد الحوفي، أبوحيان التوحيدي، دار العلوم جامعة القاهرة (دط)،(دت) الجزء الأول، الصفحة26.

ولعل هيأة التوحيدي، في حمرة وجهه، وخضرة عينيه، أدت ببعض معاصريه، إلى أن ينسبه لغير العرب، ولكن لون الوجه والعينين ليسا بحجة في إثبات نسب أو نفيه.[1]

وكان رأي الدكتور، أن التوحيدي بغدادي، قد أيدت الرسالة البغدادية هذا الرأي، فقد وصف ؤلفها نفسه بالبغدادي، ووصف بغداد بأنها "بلده، وتربته التي لا يرضى عنها بجنة الخلد ولو عجلت له" ويقول في الرسالة إنه: مقيم بسكة الجوهري، وله في الرسالة إشارات تدل على أنه نشأ ببغداد، فهو يقول إنه تعلّم السباحة فيها من أستاذين بغداديين، والسباحة إنما يتعلمها الصبيان، وحدثنا في البصـائر والذخـائر عن عـم له في بغداد في قطيعة الربيع، ذكر لنا أنه يتنقص التوحيدي ابن أخيـه « لأنه كان يأكل أربعة أرغفة »، كما حدثنا في الامتاع والمؤانسة عن دار له ببغداد، بمحله بين السورين بالجانب الغربي، اجتيحت، وعن أثاث له سرق، وعن جارية له ربعت فماتت، وإن ذلك حصل وقت الفتنة، فإن صح ما رواه عن عمه، وأضيف إليه ما رواه ابن خلكان في الوفيات عنه، بأنَّ أباه كان بقالا يبيع االتمر المسمى بالتوحيد، وإنَّ هذا سبب تلقيبه بالتوحيدي، دل كل ذلك على أنّ أبا حيان نبع من عائلة ليس بينهما وبين الثقافة نسب، وإنه كان عصاميا أنشأ نفسه وبناها، بوافر ذكائه، وعظيم حرصه على نيل المعرفة.[2]

ونسبة أبي حيان التوحيدي للمدن ليست دليلا قاطعا على أنه عربي أو فارسي الأصل. وهي طريقة القدماء في النسب إلى المدن، وقد وصف بأنه الشيرازي والنيسابوري والواسطي والبغدادي، ويمكن القول بأن أبا حيان عاش في هذه المدن وانتسب إليها في الكبر. فلا يمكن أن نجزم بفارسيته كما فعل السندوبي وعلى أي حال فهذا الموضوع ناقشه الباحثون ولكن لايختلف على مصادر ثقافته وأظن أن الثقافة غير العربية التي حصلها إنما كانت وليدة ظروف عصره الفكرية وليس لانتسابه إلى عرق معين، وهذا محور القضية، فالعبرة بالعقلية التي ثقلها التوحيدي ولا يخفى أثر الفكر الإسلامي من مصادرة (القرآن والسنة) في تكوين التوحيدي الفكري وأزعم أن إمتزاج الألوان المختلفة من المعرفة

[1] أبوحيان علي بن محمد التوحيدي، الرسالة البغدادية تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل(دط)،(دت) الصفحة 14-15.
[2] المرجع نفسه، صفحة 15-16.

والاتجاهات الفكرية، كما تمثل في فكره إنما كان يحكمه محور إسلامي واضح ولعل هذا ما حدا به إلى الأخذ برأي جماعة السجستاني في الفصل بين الدين والفلسفة على خلاف ما فعل إخوان الصفا ذلك باعتبار الاختلاف في الطريق والإتفاق في الغاية فالفلسفة طريقها العقل والدين مصدره الوحي ومن نفس المنطلق يقبل الفكر الفلسفي بوصفه طريقا أخر للمعرفة، وإن جاء بعد الطريق الديني، كما تفهم من نفس المنظور تصوفه الذي انتهى إليه هو تصوف إسلامي في أسمى معانيه واضح الدلالة على أن المصدر الأساسي هو (القرآن والسنة) وهو تصوف عقلي أيضا مع كونه وجدانيا وذلك لأنه (حتى في مناجاته «الصوفية» حين استبعد الفلسفة وكفر بها نراه يناجي بعقل المفكـر والفيلسوف وإن كان يحسب أنه يناجي بقلب الصوفي ووجدانه فقط) ويمكن أن نخلص الأدلة على عروبته ورفض القول باعتباره فارسيا في الآتي:

**1–** عدم معرفة التوحيدي بالفارسية فقد جاء في المثالب عن علاقته بالصاحب (فأما حديثي معه فاني حين وصلت قال لي: أبو من ؟ قلت: أبو حيان . قال: بلغني أنك تتأدب ؟ قلت: تأدب أهل الزمان، قال: فقل لأبي أبوحيان ينصرف أو لا ؟ قلت: ان قبله مولدنا لا ينصرف فلما سمع هذا تنمر، وكأنه لم يعجبه، وأقبل على واحد إلى جانبه فقال له بالفارسية سفها على ما فسر لي) فجهله بالفارسية كما يفهم من النص السابق أحد الأدلة على عروبته.

**2–** اسمه ولقبه وكنيته، اسم أبيه وجده يدل على عروبته.

**3–** إنّ التوحيدي يتعصب للعرب ولم يكن السلطان في زمنه للعرب حتى يقال أنه قصد السعي للمكان عند أصحاب السلطة وفي (الإمتاع والمؤانسة) يدافع عنهم ويزري على الفرس وقد ذكر على لسان ابن المقفع (أصيل في الفرس عريق في العجم، مفضل بين أهل الفضل).

وقد قال إنَّ العرب أعقل الأمم وذلك (لصحة النظرة واعتدال البنية وصواب الفكرة وذكاء الفهم).[1]

[1] وسيم إبراهيم، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق ط1، 1994 ص23-24.

**رابعا– حياتـــــه :**

علي بن محمد بن العباس التوحيدي (أبو حيان) صوفي، متكلّم، حكيم، أديب، لغوي[1]، لم تصلنا معلومات كافية عنه، وكل ما عرفه في هذا المجال أنه عاش في القرن الرابع الهجري وأنه كان سيء الطالع في حياته وبعد وفاته، لأنه عاش حياته فقيراً بائسًا مهملاً، يشكو الفقر والعوز.[2]

وإن أكثر ما كان يؤلم التوحيدي، وينغّصُ عليه عيشه هو الفقر، والفقر في نظر رجل كالتوحيدي رهيف الأعصاب، مكدودها ، رقيق الحس، سريع التأثر والانفعال، ليس كالفقر في نظر عامة الناس، بل الفقر عنده فكرة رهيبة، يضخمها خياله التحليلي فيزيدها رهبة وهولا، فهي تنطوي على معاني الحرمان والجهد الأليم الذي يتطلبه الحصول على العيش الهنيء المرموق والتوحيدي يتحرق أبدا من الفقر، حتى غدا فكرة ثابتة شغلت الجانب الأوفى من حياته النفسية، فظهرت في كل نفثة من نفثاته وهو القائل: ( غدا شبابي هرماً من الفقر، والقبر عندي خير من الفقر). وقد بلغ من فقره أنه كان لا يظفر بقوته الضروري، وأنه عجز عن الحصول على (طمرين للتستر لا للزينة والاختيال) وأنه(يأكل الكُسيرة اليابسة، والبقلية الذاوية ، ويلبس القميص المرّقع، ويتأدم بالخبز والزيتون، ينفق أربعين درهما في الشهر) وأنه ( كان لا يفوز بالبلغة من العيش لا ببيع الدين، وأخلاق المروءة، وإيراقة ماء الوجه وكدّ البدن، وتجرّع الأسى، ومقاسات الحرقة ومض الحرمان، والصبر على ألوان وألوان) .[3]

كانت شخصية التوحيدي شخصية قلقة حائرة معتلة الطبع ذات مزاج سوداوي قائمة على الازدواج والتناقض والتمزق الداخلي، لم يعهده الناس إلا شاكيًا باكيًا مفرطًا في السخط وذم الناس تشكى كثيراً في أكثر مؤلفاته ...،إذ وجد من هم أقل منه موهبة وذكاء يرتفعون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف في الدنيا، بينما لم ينل هو إلاّ البؤس والحرمان، لقد شكا التوحيدي من الفقر الذي

[1] عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت الطبعة الأولى سنة 1414-1993، الجزء الثاني، صفحة509.

[2] حسين الصديق، فلسفة الجمال ومسائل الفن عند حيان التوحيدي، دار القلم العربي، دار الرفاعي سوريا، الطبعة الأولى سنة 2003 صفحة65.

[3] أبو حيان التوحيدي ، رسائل أبوحيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني صفحة 62/61.

يعد القبر خيرا منه،كذلك شكا من ذوي اليسار والنعم، وازدادت كراهيته للناس حتى أصبحوا في نظره سباعا ضارية وكلابا عاوية، وعقاربا لسّاعة، وأفاعٍ نهاشة.

ولكنه شكا أيضا من عنف الحياة الإنسانية وقسوتها وضعف الإنسان وتناقض ذاته البشرية كما شكا من هول الموت، وكان من نتائج مرارته وحقده على الأحياء، ونفوره من المجتمع أن بعدت الشقة بينه وبين معاصريه، وتعذر التفاهم بينه وبينهم .

وتفسّر لنا شخصية التوحيدي القلقة التي لا تستقر على حال، -بوضوح- سر التناقض في حياته وكتاباته ففي الوقت الذي يتحدث فيه عن حلاوة الدنيا وعذوبتها ينادي بالزهد والقناعة والتنسك وإذا كان في بعض كتاباته صريحا عدوانيا أحيانا، إلا أنه في بعضها الآخر بدا مجاملا إلى حد التذلل، في الوقت الذي نراه عابسا متشائما مستسلما لليأس، نراه في ظروف أخرى ضاحكا ساخرا مسترسلا في رواية النكات المجنونية، وأبو حيان الذي يشير إلى فناء الدنيا ويحقّر من شأنها ويعظّم من شأن الآخرة وهو أبو حيان الذي يرى أن الدنيا حلوة خضرة وعذبة نضرة وأن العاجلة محبوبة والرفاهية مطلوبة .

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنَّ سر شعوره بالغربة والوحشة الهائلة في الحياة إنما يرجع إلى ما عاناه من فقر ومرارة فيها، وعجز عن تحقيق أمانيه، والفوز بالغنى والمجد والسعادة، وتظلّمه المستمر وتمرده على ذاته، وتشكّيه الدائم من الناس والحياة والزمان .

لا غرابة بعد ذلك أن يكون التوحيدي فيلسوفا وعالما،فنانا مفكرا، وفقيها متصوفا، وأديبا ومنطقيا[1] وكان التوحيدي من الأفراد الذين حكمت عليهم المقادير بالشقاء، ولعل من أشد بواعث شقائه أن الطبيعة أودعت نفسه ميلا قويا إلى التّنعم بالعيش ولذائذه، ونهما حافزا إلى الاستمتاع بحياة لذيذة على حد تعبيره، وهو بالرغم من تصوفه إذ هو شيخ في الصوفية وتظاهره بالزهد والقناعة، إذ كان صوفي السّمة، قبيح الهيئة، حقير اللبسة ، نزّاع إلى تحقيق رغباته، والفوز بالغنى والسعادة والجاه

[1] أبو حيان التوحيدي ومسكويه ، الهوامل والشوامل، تحقيق صلاح رسلان صفحة12/11.

لأن هذه العاجلة – كما يقول– محبوبة، والرفاهية مطلوبة، والمكانة عند الوزراء بكل حول وقوة مخطوية والدنيا حلوة خضرة وعذبة نضرة.[1]

ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن يجري على خلاف أماني النفس، فعمل على إزعاج التوحيدي ووضع العقبات في سبيله، مما أدى إلى اتخاذه الانقباض صناعة وصار يتنغص لبعد ما يشتهي ويتحرَّ تحرق حتى غدا محمودًا، محارفا يتشكى صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه وكيف لا يشكو صرف الزمان، وهو يعتقد أنه رجل موهوب، ذو ذكاء ممتاز، وملكات متفوقة، فهو إذن جدير بالسعادة، قمين بنعم الحياة. ولما عدل التوحيدي إلى الزمان يطلب إليه مكانه فيه، وموضعه منه، رأى طرفه نابيًا، وعنانه في رضاه منتفيًا، وجانبه في مراده خشنًا، وإرتقائه في أسبابه نائيًا، وهكذا شاء القدر أن يعيش التوحيدي دهره محرومًا شقيا يطوى منشور أمله متنزها، ويجمع شتيت رجائه ساليًا ويدّعي الصبر مستمرًا.[2]

وكل ما ذكر من عقد نفسية لأبي حيان التوحيدي انعكست بدورها على أخلاقه فلم يكن مزودا بأخلاق عالية تعدل علمه وأدبه، ولو أنه كان كذلك لصار نادرة في دهره، ومثلا عاليًا في عصره وبعد عصره، لكن الرجل كان في أخلاقه بشرًا عاديًا، يعتريه الضعف أكثر مما تعتريه القــوة ويقع في الخطأ أكثر مما يقع على الصواب. فهو كما ذكر ياقوت سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه، والثّلب دكانه ... فقد كان أبو حيان عيّابا سليط اللسان،[3] فقد حكى عن نفسه في كتابه (المحاضرات): كنت بحضرة أبي سعيد السرافي، فوجدت بخطه على ظهر كتاب اللّمع في شواذ التفسير – وكان بين يديه– فأخذته ونظرت، قال: ذم أعراب رجلا فقال: ليس له أول يحتمل عليه، ولا آخر يرجع إليه، ولا عقل يزكو به عاقل لديه، وأنشد:

حسبتُك إنسانا على غير خِبْرة فكشفتَ عن كلب كبَّ على عَظْمِ

[1] أبو حيان التوحيدي ، رسائل أبوحيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني صفحة 60.

[2] المرجع نفسه، صفحة61.

[3] أحمد محمد الحوفي، أبي حيان التوحيدي صفحة 75/74.

لحى الله رأيا قـــاد نحوك همّتى فأعقبَني طـــول المقام على الـــذمّ

فنقلت هذا.

فقال لي: يا أبا حيان: ما الذي كنت تكتب ؟

فقلت: الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب. فأخذها وتأملها.

وقال: تأبى إلا الاشتغال بالقدْح والذم وثلب الناس.

فقلت: أدام الله الإمتاع، شُغِل كل ناس بما هو مُبْتَلَى به مدفوع إليه.[1]

فنحن نراه هنا معجبا بذم الأعرابي نثره وشعره، ونجده ينقل في هذا الذم، ونرى السيرافي يصارحه بأنه دؤوب على الاشتغال بالقدح وثلب الناس، ثم نجد أبا حيان لا يرد عن نفسه هذا الوصف، ولا يخجل منه، بل يوافقه ويستدميه ويبرره بأنه نوع من المتعة، وبأن كل إنسان مشغول بما ركب في طبعه.[2]

وأبو حيان التوحيد ظل حياته يجاهد ويكافح في التأليف وإحتراف الوراقة والنسخ وجوب الأقطار يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه، فلم يحظ من كل ذلك بطائل، وعاش كما يقول في بعض كتبه على نحو أربعين درهما في الشهر، أي ما يساوي جنيها واحدا.-مع أنه كما يقول- رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من الأمراء بالمال الكثير والحظ الوافر، وليس أكثرهم يدانيه علما أو يجاريه أدبًا.[3]

ونرى أبا حيان في سنة 355هـ راحلا إلى مدينة الرَّي بإيران للقاء ابن العميد الكاتب المشهور وزير عضد الدولة البويهي، ويبدو أنه أراد أن يحاكي المتنبي في رحلته إليه قبل ذلك بنحو سنتين

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، مج5، ص1926.

[2] المرجع نفسه، صفحة1927.

[3] أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تقديم مختار تريوت، موفم للنشر، الجزائر 2007، الصفحة1.

فيغدق عليه الأموال كما أغدقها المتنبي الذي كان شاعرا وأنه قلد ابن العميد مدائح رائعة، وقد عاد أبو حيان من لدنه خالي الوفاض بعد أن طال وقوفه ببابه إلا ما كان من صداقته لمسكويه*[1] خازن كتبه، ويعود إلى بغداد وإلى الوراقة، وتقع له كارثة كبرى بفساد الحكم البويهي وهو عامل أثر في حياته وأدبه لا بما كان يصحبه من فتن واضطربات في بغداد فحسب، بل أيضا بسبب الثورة العنيفة التي أحدثتها العامة ببغداد سنة 363هـ فقد ازداد عنفها حتى نهبت العامة الدُور، ونهبت بينها دار أبي حيان ولم تبق له فيها شيئا، إذا أخذت كل ما كان بها من أثاث وثياب، كما أخذت كل ما كان بها من ذهب ادخره أبو حيان من الوراقة.

وملأت هذه الكارثة نفسه حسرة ولوعة، ودفعته إلى أن يعيد الكرة للقاء وزير لعله يتاح له عند ما يتاح لبعض الأدباء والعلماء الذين يفدون عليه ويجزل لهم في العطاء، وبذلك يعوض هذه الخسارة المادية الشديدة التي أتت على كل ما اكتسبه من الوراقة في الزمن الطويل، وكان ابن العميد قد توفى وخلفه ابنه أبو الفتح في الوزارة فوفد عليه وكان مشغولا ولم يلبث أن توفي سريعا، وخلفه الصاحب بن عباد فعرض عليه خدماته، ولم يعرف له قدره، فكلفه بكاتبة رسائله، ولقى أبو حيان منه عنًا شديدًا فبارحه ساخطًا غاضبًا، وانتقم منه ومن ابن العميد قبله بكتابة( مثالب الوزيرين) وهو صحف هجاء لاذعة صبها على الوزيرين وقد كوى فيها الصاحب كيًا شديدًا، لأن جراحه منه كانت أعمق غورا في نفسه وأشد ايلاما. وكأن أبي حيان لم يكن يعرف بدقة مكانته الأدبية ومالها من حقوق عليه، فسمح لنفسه أن يبتذلها، وأن يفق بباب ابن العميد والصاحب بن عبد، منتظرا منهما عطاءًا جزيلًا، وكان – لو فكر في أدبه الرفيع- أكبر من أي عطاء، ومن عجب أن نراه يقول في بعض كتاباته إنه طلب عقد الرياسة ومد الجاه اللذين كان يصبو إليهما، وكأنه لم يعرف أنه حقق لنفسه رياسة أدبية كبرى وجاها أدبيًا عظيمًا، ولا أدري السبب في إزدرائه حرفة الوراقة التي اختارها لنفسه في الشطر الأكبر من

[1] * مسكويه: هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه، ولد حوالي سنة 330هـ أو قبل ذلك بقليل، ونميل إلى رد هذا التاريخ إلى الوراء وجعله سنة 320 تقريبا...أقام ببغداد...كان خازنا لمكتبة ابن العميد وبارعا في علم عصره ومعارفه ومن بينها الفلسفة... ومن مؤلفاته: –الفوز الأصغر– تهذيب الأخلاق–الحكمة الخالدة...توفي سنة 421هـ . بتصرف . علي إمام عبيد، فلسفة مسكويه الطبيعية والالهية، الدار الإسلامية للطابعة والنشر المنصورة، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى2010، الصفحة[15-31]

حياته والتي أتاحت له ثقافته الموسوعية أو أهم روافدها، كما أتاحت له أن يتمثل أسلوب الجاحظ وأن ينفذ منه إلى أسلوبه الأدبي الرائع، وقد سمّى الوراقة حرفة الشؤم، ولم تكن شؤما خالصا كما سماها فقد كان يعيش منها لعصره علماء كبار، مثل يحي بن عدي أستاذه وأستاذ معاصريه في الفلسفة وعلوم الأوائل، ويروى عنه أنه كتب بخطه نسختين من تفسير الطبري للقرآن الكريم، وهو في نحو ثلاثين مجلدًا، ومثله السيرافي أستاذه وأستاذ معاصريه في اللغة والنحو، وكان لا يخرج إلى محاضرته لطلابه وإلى مجلسه في القضاء ببغداد إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم بقدر مئونته اليومية. ونفس أبي حيان يعترف بأنه حين حدث الهرج والمرج في ثورة العامة الذي نهب منه كان قد جمعه و ادخره من حرفة الوراقة حتى هذا التاريخ إذ لم تكن له حرفة سواها.

وعاد أبو حيان إلى بغداد سنة 370هـ وإلى الوراقة، وأخذ يشكو شكوى مرة من البــؤس والضنك والحرمان، وأشفق عليه صديقاه : مسكويه وأبو الوفاء المهندس، أما مسكويه فألف معه كتاب ( الهوامل والشوامل) ليبسّر عنه... وأما أبو الوفاء المهندس فإنه وصله بابن سعدان*[1] أحد كبار رجال الدولة البويهية، وعلم أن أبا حيان يفكر في تأليف كتاب عن الصداقة والصديق، فحثه على إنجازه وأصبح ابن سعدان وزيرًا لصمصام الدولة البويهي حاكم بغداد من سنة 373هـ إلى سنة 375 بتخذ له منتدى ليليًّا، كان يختلف إليه أعلام الفكر والثقافة في بغداد، وجعل أبا حيان واسطة عقده، ومدير الحوار فيه، وألف لأبي الوفاء المهندس كتابا سجل فيه الحوار الفكري في أربعين ليلة من لياليه سماه"الامتاع والمؤانسة"...، ويستمع صمصام الدولة في سنة 375هـ إلى وشايات كيدية كاذبة عن وزيره ابن سعدان فيفتك به، وتغلق أبواب هذا المنتدى وما كان فيه من حوار فكري خصب وتظلم الدنيا في عين أبي حيان إلا ما كان شعاع ظل يضيء في منتدى أبي سليمان المنطقي السجستاني المتفلسف وظل يختلف إليه، وسجل ما كان يدور في هذا المنتدى من حوار فلسفي وفكري خصب في كتابه (المقابسات).

[1] ابن سعدان : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة من 373هـ، ثم قتله صمصام الدولة كان مجلسه حاليا بالحلة من علماء بغداد وأدبائها، وكان طلعة إلى المعرفة، كما يتبين من أسئلته الكثيرة المتنوعة لأبي حيان في كتاب" الإمتاع والمؤانسة" ومن تعقيبه على بعض الأجوبة.

ونمضي مع أبي حيان في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري حتى نهايته، ونراه يشكو بمرارة من الفساد الخلقي المستشري حوله وما يضغط منه على صدره ونفسه وليس له ولد يسليه ولا صديق مخلص يواسيه ويعيش وحيدا فريدًا غريبا عن مجتمعه وناسه، ويصف هذه الغربة الموحشة في كثير من صحف كتابه الأخير "الاشارات الالهية"وصفا بديعًا.[1]

إنّ كل ما واجهه من صعوبات خلال رحلته الأدبية إلا أن التوحيدي الأديب إكتسب ثقافة موسوعة كبيرة، وبيانًا، ويتجلى ذلك في مختلف انتاجاته الأدبية، وإذا ما أردنا الحديث عن بيانه الماتع"فعلينا أن نقرنه بأستاذنا الجاحظ دائما، فالكلام في معظمه يدور حول سرعة توصيل (المفهوم)بأيسر السُّبل،"المفهوم المؤدى في بساطة، يكون أسبق إلى النفس من المسموع في الأذن، وهو ملحوظ في عرض الطريق، ويلتقي بالوهم لحسن الترتيب، كون التوحيدي عالم بدقائق الأسلوب الرائع، وقادر عليه، غير أننا لا نلحظ في أسلوب أبي حيان ذلك التكلّف الذي نلمسه عند سواه من الكُتَّاب والأدباء". عرفنا أن أبا حيّان لم ينتم، أو ينضوِ تحت لواء حزب أو جماعة، حيث يؤمن أن التقليد عدو العقل، لأنه في جوهره إتباع لعقل أو عقول أخرى توصلت إلى نتائج معينة، بطريقتها الخاصة، ثم يأتي المقلّد ليغرف منها ما يشاء دون فحص أو تمحيص. فقد عاش التوحيدي وهو يتفاعل مع سني القرن الرابع الهجري، ومستوى الحياة العقلية من النصح والبحث العلمي والإبداع الأدبي ما جعله أحد المفكرين ذوي الحرص على الاستقلال وعدم التبعية[2].

وبذل – لنيل هذه المكانة — الجُهد الجهيد والحياة أحيانا، مع اهتمامه وسؤالاته حول المعارف المتلاطمة آنذاك. ليؤكد– بصورة قاطعة– نزوعه الدائم إلى الدهشة، والسؤال واستعداده اللحوح للبحث والتنقيب، ويتضح كل ذلك بصورة في كتابيه: «الهوامل والشوامل» وفي «الإشارات الإلهية»"[3]

[1] شوقي ضيف، من المشرق والمغرب بحوث في الأدب الدار المصرية اللبنانية، القاهرة الطبعة الأولى، جماد الثاني 1419هـ، أكتوبر1998 الصفحة [55-58].

[2] محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا دار الأوائل سوريا دمشق الطبعة الأولى سنة 2002 الصفحة 56-57.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة 57.

وجاء في قول مصطفى ناصف في «محاورات مع النثر العربي»: "أبو حيان عالم عقلي مركب لا يخلو من الغموض، أحيانا يكون واقعيا، وأحيانا يكون مثاليًا، أحيانا تأخذه قوة كلمة الصدق بانًا تأخذه فكرة تنوع السبل، أحيانا يرى المجتمع جدالا، وأحيانا يحلم أن يكون المجتمع حوارًا وأحيانا يميز بن الخطأ والصواب تمييزًا قاطعًا، وأحيانا يرتاب في هذا التمييز في ظل الإيماءات المتكررة إلى تبادل الأخذ والعطاء."[1]

ولقد كان أبو حيان مولعًا بوضع الأحاديث و الأسمار، ووقائع التاريخ في الصورة الروائية، فلا يكتفي بإيراد الحادث على ما عرف وتناقله الرواة، بل يعرض له ويرسل عليه صيّبًا مدرارًا من فائض بلاغته وزاخز بيانه، فإذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وأبطال، تروع إذا مثلت وتروق إذا قرئت وتملك المشاعر والقلوب إذا سمعت، ومع ما يدخله عليها من أصباغ، وما يطلبها به من ألوان، فهو لا يعدو في النتيجة أن يمثل الحقيقية في أصدق مظاهرها، فهو الكاتب القصصي الماهر الذي أهدته إلينا الأعصار الأولى، وله طبع دافق، وفكر سابق، وعقل فياض بالحكمة وفصل الخطاب ومن أخص مزاياه أنه يمزج الأدب بالحكمة، والتصوف بالفلسفة، ويولد من بين هذا المزيج مذهبا خاصا له لم يسبق إليه، فأنت لا تستطيع أن تنسبه إلى فرقة بعينها من الفرق الإسلامية، ولا إلى مذهب معروف من مذاهب الدين.[2]

وهكذا يبدوا أن التوحيدي كانت له شخصية متفردة من جميع النواحي ولهذا كان أسلوبه فريدًا وجُلَّ كتاباته متميزة على غيرها من الشخصيات الأدبية.

[1] مصطفى ناصف، مع النثر العربي، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مجلد 218، ع فبراير 1997 ص132.

[2] أبو حيان التوحيدي المقابسات تحقيق حسن السندوبي، دار سعاد الصباح الكويت، الطبعة (2) 1992 الصفحة 17.

**خامسا : شيوخه وتلاميذه.**

. أبو حيان علومه من مشاهير علماء زمانه ذوي الثقافات المتعددة، فقد اِتصل بهم وتلقى أهم أنواع العلوم على أيديهم ومن بين هؤلاء العلماء نذكر:أبا سليمان السجستاني المنطقي*[1] والفيلسوف يحي بن عدي، والشيخ أبو سعيد السيرافي عالم النحو والكلام، والعالم علي بن عيسى وعالم الفقه المروروذي، فأبو سليمان أحمد بن طه بن بهرام السجستاني كان في مقدمة الأساتذة العلماء الذين تتلمذ على أيديهم التوحيدي، وهو من كبار الفلاسفة علماء المنطق واللغة وصاحب أنظار في الأدب والشعر وكان التوحيدي يكثر من ملازمته حتى عده القفطي«أحد أصحابه المعتصمين به» ولا أدل على ذلك من أن كتاب التوحيدي المسمى «المقابسات» يشتمل الجزء الأكبر منه على أحاديث ومناقشات جدلية وفلسفية لأبي سليمان وتلاميذه.

أما الفيلسوف النصراني أبو زكريا بن يحي بن عدي (ت360هـ) فهو من أشهر تلامذة الفيلسوف أبي نصر الفارابي وبشر بن متّى، وكان متضلعا في علم المنطق الذي يعتمد عليه في إثبات الحقائق والعقائد ويحفل كتاب (المقابسات) بالكثير من أراء يحي بن عدي في الكون والفساد والحركة والزمان والعلة والمعلول، والصورة والمادة...إلخ.

وأما أبو سعيد السيرافي (284 – 368 هـ) فهو أستاذه الأكبر الذي أخذ عنه علوم النحو والكلام والفقه والشريعة وقد أثبت التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» تلك المناظرة الشهيرة التي جرت بين السيرافي ومتّى بن يونس القنائي عن المفاضلة بين النحو العربي، والمنطق اليوناني، وكان السيرافي متمتعًا بسعة الاِطلاع والورع والصلاح والتقوى مما دفع المحيطين به إلى مخاطبته بشيخ الإسلام والإمام الجليل.

---

[1] * أبو سليمان السجستاني المنطقي: هو أبو سليمان محمد بن طاهر **السجستاني المنطقي**، كان فاضلا في العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها ، واجتمع بيحي بن عدي وأخذ عنه وكان لأبي سليمان السجستاني المنطقي أيضا نظر في الأدب والشعر... ومن كتبه مقالة في مراتب قوى **الإنسان** ، **كلام في المنطق** ، مسائل عدة سئل عنها وجواباته لها، **تعاليق** حكمية وملح ونوادر.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة، (دط)، (دت) صفحة 198-199.
TOPDF:http://www.al- mostafa.com.

وهناك أستاذ آخر تتلمذ عليه التوحيدي وهو علي بن عيسى الرماني(276-384هـ) وكان عالماً متبحراً في مختلف العلوم من نحو ومنطق ولغة وأدب وكلام وفقه اللغة...إلخ، وكان له أثر كبير في تنشئة التوحيدي من الناحية اللغوية والنحوية والمنطقية بل العقلية بصفة عامة.

ودرس التوحيدي الفقه الشافعي على القاضي المتبحّر في أصول الشريعة وفروعها أبي حامد المروروذي (المتوفي سنة362هـ) والذي عدّه التوحيدي بحق بحراً يتدفق حفظاً للسير واِستنباطاً للمعاني وثباتا على الجدل، ويرجع شغف التوحيدي بتعريف الألفاظ وتحديد معاني الكلمات إلى أبي حامد المروروذي كما يشير إلى ذلك في كتاب "البصائر والذخائر".

وهكذا فقد تتلمذ التوحيدي واِتصلت أسبابه بأكبر علماء عصره، فتلقن أصول العلوم اللغوية والفلسفية والشرعية على يد أعظم مفكري زمانه مما أكسبه ثقافة موسوعية واضحة. أضف إلى ما سبق اِحترافه مهنة الوراقة التي مكنته من الاِطلاع على عيون التراث وأمهات الكتب العربية إلى جانب عدد آخر من العلما ن قرأ عليهم واِتصل بهم أمثال أبي محمد جعفر الخلدي من كبار المتصوفة وابن سمعون (300-387هـ) وكان حكيما واعظا، وأبي بكر القومسي المتفلسف، وأبي الحسن العامري الفيلسوف الإسلامي، وابن النفيس الرياضي.[1]

أما تلاميذ أبي حيان الذين أخذوا عنه ذكر منهم ابن السبكي: القاضي أبا حامد المار ذكره وقال: لعله أخذ عنه التصوف ثم ذكر علي اِبن يوسف، ومحمد بن منصور بن حمكان، وعبد الكريم بن محمد الداودي ونصر بن عبد العزيز المصري الفارسي، ومحمد بن إبراهيم بن فارس الشيرازي وقال: إنّ أبا سعيد عبد الرحمن بن ممجة الأصبهاني سمع منه يشيراز سنة 400[1].

[1]أبوحيان التوحيدي ومسكويه ، الهوامل والشوامل، ص10-11.

[1]أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص10.

**سادسا: ثقافتـــــــه.**

حيان أديب واسع الثقافة، أكسبته صلته بالناس على إختلاف طبقاتهم ومشاركته لهم في حياتهم يخبرها وينفذ إلى أعماقها، تجربة واسعة، ناقد مرّ لا تكاد عينه تخطيء مواطن النقص، ذو حس مرهف ينفعل لأخف المؤثرات، ويسجل أسرع الحركات وأخفاها، مع قدرة لغوية فائقة تسعفه على نقل أحاسيسه نحو الناس – مهما دقت– في غاية من الوضوح والصفاء.[1]

ويقول حسن الملطاوي في كتابه (الله والإنسان في فلسفة أبي حيان التوحيدي): أنّ ثقافة التوحيدي تميزت: بالتنوع، والتعمق والإبداع، فأما عن التنوع فنجده في المدى الواسع في مجالات الفكر التي يتناولها بالسرد أو النقل أو المناقشة، وإبداء الرأي في هذه الاتجاهات المختلفة، وقد غزر إنتاجه وكثرت معارفه فكتب رسالة في العلوم، ورسالة في فن الكتابة فتحدث فيها عن أنواع الخطوط حديث العارف المتقن لعلمه، وتحدث في النحو وكتب (رسالة الحياة)، وكتابا في (الصداقة والصديق) وذكر في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) وكتاب (المقابسات)،و( البصائر والذخائر) ألوانا شتى من المعارف.

أما التعمق: فنلمحه في عرضه لهذه الأفكار والاِتجاهات المختلفة.

والتوحيدي لا يدعي ما ليس عنده، بل هو اقرب إلى التواضع منه إلى أي شيء آخر، إذا كان الأمر متعلقا بالعلم والعلماء. وهو مع كثرة الموضوعات التي يكتب فيها نجده في جلها متمكنا من موضوعه محيطا بدقائق علمه.

أما إبداعه: فكان في أكثر من جانب وأولها هذه الموسوعية التي تميز بها في خاصية **الاتفاق أو الموافقة** بين هذه المعارف فنجده قد فلسف الأدب، وأدّب الفلسفة حتى ليأتي وصف ياقوت له بأنه: **(فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة)** صادقا لكل الصدق، ونجده أيضا في قدرته على صياغة الأفكار

[1] أبي حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد تاويت الطبخي، دار صادر بيروت(د،ت) سنة 1992، ص ن.

الفلسفية في أسلوب أدبي متميز مبسطا الفلسفة، **مقربا مسائلها للعامة وقد بلغ** شأوا بعيدا في المناجاة **الصوفية**، نلمح ذلك في (**الإشارات الإلهية**) **ويحق** عده آدم متز أعظم النثر العربي على الإطلاق.[1]

وهو أن كان قد تأثر بكثير من رجال الثقافة والعلم في عصره (**الذي كان من الناحية العلمية** تتويجا للأعمال الثقافية السابقة والجهود المبذولة في الترجمة والتأليف والشروح أو التلخيص) **فقد كان عمق ثقافته وتنوعها** معا مكملين لإبداعه الذي تمثل في الاستفادة من هذه المعارف في المناقشة، ومقارنة الفكرة بالفكرة، وإيضاح الغامض، وتحديد المعنى تحديدًا وضحًا، ولعل ذلك من أهم ملامح التوحيدي الفكرية كل ذلك يصب في أسلوب أدبي **مميز**.

**وقد قيل (أنّ** التنوع الشديد في ثقافة أبي حيان هو الذي أعطاه الحق في أن يقرن نفسه بالجاحظ حتى غدا البعض متجاوزًا في تقديره...فإذا كان الجاحظ أستاذ علماء الكلام في الأدب في القرن الثالث فأبو حيان كان أستاذ الفلاسفة في الأدب في القرن الرابع...فلقد اِتسم تراث أبي حيان بمزية الاِختصاص إضافة إلى التنوع ولا أحد ينكر الاِتجاه الفلسفي عند كل من الجاحظ والتوحيدي، وإن تحرج البعض في وصفهما **بالفيلسوف أن التوحيدي صلته بالفلسفة صلة مباشرة وقوية ومن هنا كانت ضرورة دراسته فلسفيا، وذلك لأكثر من سبب أيضا.**

**أولا:نلمح** في **كتبه تأثرا بالفكر الفلسفي** إلى **حد** كبير بحيث يؤدي تحليل أعماله إلى وجود اِتجاه **فلسفي واضح.**

**ثانيا: إنّ** دراسة الأدب الفلسفي في تراثنا الفكري أمر هام للغاية في إطار دراستنا للتراث، **إذ أن ذلك من شأنه أن يتيح فرصة** اِكتشاف أبعاد جديدة في التراث وبنيات فكرية تعطي **ثراء للفكر** العربي، والواقع أن أبا **حيان** (لم يكن ليحسب شخصا عاديا في مسار أهل الأدب والفكر، بل **امتاز بعبقرية ذات نفح خاص هي هذا الاِقتدار العظيم على الجميع بين الوعي الفلسفي والأدب الرفيع والتمكن من الاِختيار).**

[1] حسن الملطاوي، الله والإنسان في فلسفة أبي حيان التوحيدي،ص88/87.

**ثالثا: إنّ** التوحيدي كان متصوفا وقد بلغ في مناجاته **وابتهالاته شأ**وا بعيدا في (الإشارات الإلهية) إ كن قد تأثر وأعجب بهم حيث صحبهم في أول أمره، ثم **انقطع** عنهم، ثم عاد ليصحبهم في فترات مختلفة من حياته، وإذا كان يمكن القول بأن التوحدي قد تأثر بكثير من الصوفية قبله أو من معاصريه إلا أن الناظر في بعض ما واصلنا من كتابات هؤلاء الأعلام يجد بونا شاسعا بينهم وبين أبي **حيان من حيث المنزلة الأدبية للمناجاة والأدعية والخطابات الصوفية.**[1]

ولكن يبقى لأبي حيان تميزه الأدبي والروحي والفكري أيضا،إذ **امتزجت تجربته الروحية بتجربته** في الحياة الاجتماعية، وقد خاض غمارها يشاهد ويراقب وينقد وينصح ويقترب فيفشل. **ويطلب الأجر** فيرد خائبا، ويسعى للمكانة الاجتماعية بأدبه وعلمه فيعود مجروحا، وبخوض في النفس الإنسانية في عصره ممثلة في الأديان والعلماء والوجهاء فيلحظ **ما خفى من أسرار النفس وخباياها. ويقف على ما انطمس** على غيره من بواعث السلوك وغايته، ويستمع إلى أساتذة عصره في الفقه والنحو واللغة والفلسفة وغيرها من العلوم، ويشارك مجالس الأدباء والوزراء، ويرصد هذا التفاعل الاجتماعي الحي في هذه المجموعات، وينظر إلى مجتمعه وطبقاته فإذا به يستخرج أنماط السلوك والقيم في هذه **الطبقات من التجار والعلماء والوزراء العامة.** وكان للفلسفة أثر كبير في نفسه، ولكن كان للدين الأثر الأول **والأعمق وللتجربة الروحية (وقد نشأ أبو حيان سنيا ميالا** إلى الحديث والأثر).[2]

**سابعا– آثاره ومؤلفاته:**

كانت مؤلفات أبو حيان مرآة تعكس عصره كما تعكس أيضا **حياته، فقد ترك لنا سجلا** جامعا لجهوده الفكرية والعلمية والأدبية جسَّد فيه معاناة الناس في عصره، وقد **التزم** في بسطها **وإيضاحها طريقة التناظر والتحاور وأسلوب المحاضرة والمسامرة، فجاءت سهلة المأخذ بعيدة عن التكلف والتعسف، بريئة من اللبس والغموض، ولولا** أنه لم يحرق كتبه في أواخر أيام حياته لكانت الفائدة منها أعم، ومع الأسف لم يصلنا **منها إلا** البعض ومن أهم أثاره المعروفة **نجد:**

[1] المرجع السابق، ص88-89.

[2] المرجع نفسه، ص89.

**1- أخلاق الوزرين، أو «ذم الوزيرين» أو«مثالب الوزيرين»:** يهاجم التوحيدي فيه الوزيرين أبي الفتح بن العميد والصاحب بن عباد، كاشفا عن مثالبهما، بعد أن فشل في تحقيق الخطوة أو الحصول على الشهرة والجاه لديهما.

**2- البصائر والذخائر:**

**وهو كتاب ضخم،**إستغرق التوحيدي في تأليفه خمسة عشرة عامًا **ما بين**(35-365ه) **وكشف** عن محصلة مطالعة التوحيدي وتجاربه وثقافته الموسوعية وأمانته العلمية، ويشتمل على معارف متنوعة **إذ نجد** فيه الأدب والتفسير والشعر والنثر، **والتاريخ والفكاهة والفلسفة والتصوف.**

**3- رسائل أبي حيان التوحيدي:**

وهي تسع رسائل بتحقيق إبراهيم الكيلاني،دار طلاس بدمشق 1985 **والرسائل المنشورة هي: رسالة السقيفة**- رسالة في علم الكتابة- **ورسالة الحياة**- ورسالة في العلوم- ورسالة إلى أبي الفتح بن العميد- ورسالة إلى أبي الوفاء المهندس البوزجاني- ورسالة أخرى إلى الوزيرين ابن عبد الله العارض وزير صَمصام الدولة البويهي، ورسالة إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد.

وتمثل رسالة السقيفة جانبًا من الصراع بين السنة والشيعة عصر بني بويه الذين رفضوا رأي الصحابة الشيخين، وفضلوا عليهما عليًا.

أما رسالته الثانية في علم الكتابة في أنواع الخطوط العربية وقواعدها وأنواع الأقلام، ومعاني الخط وذلك من واقع خبراته الطويلة في مجال الكتابة والوراقة.

وتوضح الرسالة الثالثة رؤيته الفلسفية في الحياة والموت والمعاش والمعاد.

ويرد التوحيدي في «رسالة في العلوم» على القائلين بأنه ليس للمنطق مدخل في الفقه، ولا للفلسفة اتصال بالدين، ولا للحكم تأثير في الأحكام ويهاجم في هذه الرسالة **أدعياء العلم موضحًا الصلة الوثيقة بين الفلسفة والمنطق وعلوم الشرع.**

**4- الصداقة والصديق :**

كتبه التوحيدي في مرحلة متأخرة من حياته تعكس حالة اليأس التي انتهى اليها، وجمع فيه معظم ما كتب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا عند العرب في الجاهلية **والإسلام** وعند غيرهم من الشعوب الأخرى كاليونان والفرس ويتميز الكتاب بأسلوبه الشّيق الذي يعد من أهم خصائص التوحيدي.[1]

**5- المقابسات:**

ويحتوي على 106 مقابسة أو محاورة بين العلماء، وتنوعت موضوعات المقابسات، فمن العلة والمعلوم والمكان والزمان إلى الخالق والمخلوقات في المجال الفلسفي والمواضيع النفسية والأخلاقية وتباين الأخلاق لدى الإنسان وكتمان السر وإفشائه، وحديث النفس، بالإضافة إلى الشعر والنثر وعلاقة النحو بالمنطق. وهذا ما جعل الباحثين في كتابات التوحيدي، يصفون المقابسات بمتحف فكري عجيب[2].

**6- الهوامل والشوامل:**

ويتضمن هذا المصنف رؤية جديدة للتوحيدي في القضايا والمسائل التي عالجها الفكر الإسلامي، وهو يقوم على منهج الحوار القائم على السؤال، فكان هو السائل والمجيب. والغاية من هذا التساؤل هو تنبيه إلى منهج الفلسفة القائم على السؤال، لأن السؤال هو ركيزة النظرة الفلسفية، فقد انفرد بمنهجه الفلسفي في عصره فحق له أن يكون فيلسوف عصره، فقد تتطرق فيه إلى البحث عن حقيقة الإنسان وماهية سعادته.

[1] أبو حيان التوحيدي ومسكويه، الهوامل والشوامل ص ( 23- 25)

[2] سي بوعزة حفيظة، دلالة الأنس في ليالي الإمتاع والمؤنسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة الماجستير، مطهري صفية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران 2011/2010/ ص14.

**7-كتاب الإشارات الإلهية:**

كتاب في التصوف مال فيه التوحيدي إلى طريقة الفقهاء، فهو تصوّف سني يقع في جزئين.**ويقوم على** منهج الحوار، وفي هذا الكتاب نمى **وتطور الحديث من طرف واحد.** وقد أبرز التوحيدي في هذا الكتاب مفهوم التصوف السني وعارض به التصوف المسيحي والتصوف اليهودي، ونفى فكرة الحلول والاتحاد.

**2- الإمتاع والمؤانسة:**

ارتبط تأليف هذا المصنف بمصادقته مسكويه وعرف التوحيدي السعادة في كنفه للمرة الأولى في حياته، وقد ضمن المصنف الحوار وهنا بدأ منهج الحوار التوحيدي الشهير الذي سيكون عماد أعماله التالية، ويقع هذا المصنف في ثلاثة أجزاء، وقد عرض فيه التوحيدي موقفه من القضايا الفلسفية كعلاقة المنطق بالنحو وعلاقة البلاغة بالدين وكما ضمنه تصويره المبكر عن الخطاب **النقدي بقوله:** "إنّ الكلام على الكلام صعب"[1].

**ثامنا- وفاتـــــه:**

**كما اختلف الدارسون** والمؤرخون في تحديد تاريخ ميلاد التوحيدي، ومن قبله اختلفوا في معنى التوحيد **المنسوب إليه** (أهو التمر أم الدين أم الاعتزال أم غير ذلك)، اختلفوا أيضا في ضبط تاريخ **وفاته** اختلافًا ليس بالهين وإنما هو خلاف جسيم يرجع بوفاته إلى سنة 360 ، أو يمتد بها إلى سنة 414هـ، **فأي خلاف ذلك الذي يفصل بين زمنين أكثر من نصف قرن**[2].

**وأما وفاته سنة 360هـ فتعتمد** على ما ذكره أبو العباس أحمد بن أبي الخير زركوب الشيرازي في كتابه (شيرازنامة) من أنه سمع أباه يقول إنه رأى مقبرة أبي حيان مكتوبا عليها أنه توفي سنة **360هـ وقد**

[1] فهيمة لحلوحي، استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية، لأبي حيان التوحيدي، مذكرة الماجستير، إشراف محمد بوعمامة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة سنة 2003/2002 ص19-20.

[2] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الصفحة 25.

ذهب السيوطي إلى أنه توفي سنة 380هـ، وكلا الرأيين مجانب للصواب، لأن أبا حيان كتب رسالة إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد في رمضان سنة 400هـ، ولأنّ السبكي يذكر أن أبا سعيد عبد الرحمن الأصبهاني سمع من أبي حيان بشيراز سنة 400هـ، ولأن أبا حيان نفسه ذكر في رسالة الصداقة والصديق أنه بيض مسوداتها في رجب سنة 400هـ.

لهذا كان الذهبي أقرب منهما إلى الصواب في قوله إن أبا حيان توفي سنة 400هـ. ويظهر أن الأستاذ آدم متز أخذ برأيه، أو ِاستدل من كتابة أبي حيان على أنه كان حيًا سنة 400ه فقال إنه توفي حوالي سنة 400هـ.

أما القزويني فقد ذهب إلى أنه توفي سنة 414ه، وهذا يتفق مع ما ذكره المؤرخ الشيرازي أبو العباس أحمد زركوب، فهو يذكر قبل روايته عن أبيه التي أسلفناها رواية أصح منها، هي أن الشيخ أبا الحسن بن أحمد شيخ مشايخ عصره رأى أبا حيان في منامه، فسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي على رغمك، وفي اليوم التالي طلب من أصحابه أن يحملوه إلى شيراز، فزار قبر أبي حيان وصلى عليه، وأمر بوضع لوح على قبره مكتوب عليه: هذا قبر أبي حيان التوحيدي توفي سنة 414هـ وإذًا فقد كان أبو حيان على قيد الحياة سنة 400هـ والراجح أنه قد عاش بعدها إلى 414هـ كما ذكر القزويني والمؤرخ الشيرازي الشهير بزركوب[1].

**تاسعًا: شهادة العلماء فيه.**

رغم ما أثاره التوحيدي من جدل واسع بين المؤرخين والمحققين والأدباء والكتّاب في تحديد الكثير مما يخص شخصيته. كتحديد تاريخ ميلاده ووفاته وأصله، وضبط عقيدته ومذهبه الديني، ثم تحقيق قضية تراث كتبه وعدد مؤلفاته رغم ذلك إلا أنهم متفقون تقريبا على نبوغه وتفرده قديما وحديثا، فهذا ياقوت الحموي يشهد: كان التوحيدي متفننا في جميع العلوم من نحو ولغة وشعر وأدب وفقه وكلام...ثم يصفه وصفًا جامعًا بفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة.

[1] أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي الجزء(1) الصفحة 24-25.

وعلى لسان الحموي أيضا والسبكي وابن حجر يورد وسيم إبراهيم[1]:( وقال ياقوت: كان أي التوحيدي جاحظيا يسلك في تصانيفه مسلكه، وهو كثير التحصيل للعلوم في كل ما حفظه واسع الدراية والرواية[2]). وقال عنه السبكي : (كان إماما في النحو واللغة والتصوف فقيها مؤرخا)،أما عن ابن حجر العسقلاني فيقول : (وقال ابن النجار في الذيل :كان أبو حيان التوحيدي فاضلاً لغويا نحويا شاعرا له مصنفات حسنة)[3].

ويقول أيضا أبو العباس احمد بن ابي الخير رزكوب شيرازي وهو من أعلام القرن السابع للهجري (التوحيدي هو الإمام الموحد والعالم المتفرد، الجامع المعارف والعلوم، لا نظير له في المكاشفات الإلهية والبحث في التوحيد).

ويخرج أحمد الحوفي بانطباع صريح بعد تعامله مع أبو حيان التوحيدي إذ يقول :" عظم اكباري لعلمه[4]،وإعجابي بفنه وأيقنت أن الرجل مغبون القدر، مهضوم المكانة، وأيقنت أنه أجدر بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة اللفظية الذين ذاعت شهرتهم في حياتهم، وبعد مماتهم، ومازالوا يدرسون إلى اليوم على أنهم زعماء مدرسة، أو أصحاب طريقة في الكتاب...والحق أن أبا حيان يفضل هؤلاء جميعا،ويفضل أضرابهم من كتاب الزخرف والزينة[5].

ويقول الأخضر جمعي:(إننا لم نجد بُدّا من عدّ أبي حيان التوحيدي ضمن هذه الدائرة دائرة الفلاسفة ذلك لأنه بالإضافة إلى كونه أديب الفلاسفة، شكلت مطارحاته المعرفية عامة والأدبية بالخصوص لمحة جدلية حاور فيها فلاسفة كمسكويه وأبي سليمان المنطقي، فكان بذلك أقرب إلى هؤلاء، علما بأن وضعه في خانة النقاد لا يستقيم والوجاهة التي إنضبط بها بحث هؤلاء)[6].

---

[1] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص34.

[2] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص1924.

[3] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص34.

[4] أبو حيان التوحيدي ومسكوية، الهوامل والشوامل، ص22.

[5] أحمد محمد الحوفي، أبي حيان التوحيدي،ص2.

[6] د. الأخضر جمعي،اللفظ والمعنى في التفكير النقدي البلاغي عند العرب (من منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق/ 2001م)، ص10.

أما عبد الرحمن يدوي من أشتهر عنه البحث في **الفلسفة وتحقيق بعض أعمال الفلاسفة، فيختصر** شهادته للتوحيدي في أربعة كلمات: أديب وجودي في القرن الرابع الهجري[1].

وقد أدلى عبد السلام **المسّدي بشهادته فقال:** ولعل أبا حيان التوحيدي قد ارتقى إلى منزلة التجريد الكلي لما صدرت عنه اِستقراءاته من وعي دقيق بخصوصية اللغة في دورانها على نفسها وإفرازها لوظيفتها الاِنعكاسية، وقد تميز تحليله لهذا الأشكال بالغزارة والحصب...قد بسط التوحيدي في بعض اِستطراداته **مصادرة منهجية تتصل بأصولية المعارف**[2].

**وجاء على لسان مصطفى ناصف:** قد يكون أبو حيان متكلفا أحيانا، ولكنه يوحي إلى القارئ **ألا** تغتر بمقدار ما تفهمه على البديهة. **أبو حيان حاول أن يشق طريقا ثانيا للتأملات اللغوية على** خلاف ما شاع، وحاول أن يسترعي نظر المناطقة والبلغاء إلى مباحث دلالية توقظ التفهم.

**ويضيف أيضا:** أبا حيان في تجاربه اللغوية المتأخرة أعطى للجسارة والتعري والمناجزة قوة غير مألوفة قوة تحسب له في تاريخ الأفكار وتاريخ الكلمات على السواء[3].

[1] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص35.

[2] **عبد السلام** المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية 1986 ص340.

[3] **د.** مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، ص135.

## المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإمتاع والمؤانسة.

### أولا: تعريف الإمتاع :

**الإمتاع مفهوم يوحي بالراحة والإفادة، أصله ثلاثي المكونات (متع) ويتعدى بطريقتين التضعيف** فيصير(**متّع**) بتشديد التاء، كما يتعدى بإضافة الهمزة في أوله وحينها يصير (**أمتع**) والأول أبلغ في النطق وأمكن في النفس، لأن التضعيف هو (تكرير وتركيز صوتي).

**ومن وظائف التضعيف** التثبيت والتمكين، وفي أصول المفردة قال ابن فارس: **الميم والتاء والعين** أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد في خير منه، استمتعت بالشيء، والمتعة المنفعة، ويظهر من **كلام ابن فارس أن للمتعة بعدين**: وثانيهما امتداد زمانها[1].

وفي مجال الدراسات الصرفية جاءت هذه **الصيغة أصلية ومزيدة، وجاءت المزيدة بشكلين: الأول بتضعيف العين (متّع)** والثانية بإضافة الهمزة (**أمتع**)، وشاعت الصيغة الثانية في القرءان الكريم أكثر من الأولى ولعل أنها جاءت بتضعيف العين، والتضعيف تكرير وتركيز للنطق وتثبيت للمعنى.

### ثانيا: تعريف الأنس.

**جاء** في لسان العرب لابن منظور أن الأنس: **خلاف الوحشة وأنست بفلان أي فرحت به وآنستُ فزعًا وأنسته إذا** أحسسته ووجدته في نفسك، وآنس الشيء أحسه وآنس الشخص واستأنسه رآه وأبصره، والاستئناس في كلام العرب: **النظر**[2].

وورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس الجذر (**أنس**): "الهمزة والنون والسين، أصل واحد، وهو **ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش. قالوا**: الإنسْ خلاف الجِنَّ، وسُمُّوا لظهورهم.

---

[1] **سي بو** عزة حفيظة، دلالة الأنس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص16.

[2] **ينظر ابن منظور لسان العرب**، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، ط(3)، 1999م، ج(1) ص [233-235]

يقال **آنستُ الشيء إذا رأيته.** قال تعالى: «فإنْ آنَسْتمْ مِنْهُمْ رُشْدًا». **ويقال:** آنَستُ الشيء إذا سمعته... وأنْسُ: **أُنس الإنسان** بالشيء إذا لم يسْتَوْحِش منه[1].

**ثالثا: قصة التأليف.**

جاء في **مقدمة** أحمد أمين في **كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي** حيان التوحدي ذكر **لأهم أسباب تأليف الكتاب، فقد كتبه لأبي** الوفاء المهندس، نقل فيه أبو حيان ما دار **بينه وبين ابن سعدان ولكن** القفطي في **كتابه «أخبار الحكماء»** عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي ما نقول، سواء ذلك من **ألف له الكتاب، ومن دار الحديث بينه وبين** أبي **حيان .**

وقد ذكر أحمد أمين **عدة أدلة تبين صحة قصة التأليف ونذكر منها:**

**أولا:** يقول أبو حيان في صدر كتابه: **إنه ألفه رداً** لجميل أبي الوفاء، إذا كان **هو الذي أوصله لأبي عبد الله،** وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثنايا الكتاب**، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه** يمدحه ويثني **عليه،ويقول:** كيف أذمه وهو الذي أوصلني بك.**وقد سبق أن أثبتنا أن أبا الوفاء كان من ند**ماء أبي عبد الله.

- **ودليل آخر، وهو أنّ** أبا حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من **ألّف له الكتاب، وقد كان أبو الوفاء** المهندس في منزلة تسمح له **بذلك.** فإنه جليل القدر يلقبه الوزير **بشيخنا، أما أبو** سليمان فكان فقيراً **كما** ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب. وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية **لا صلة مالية ، فمن البعيد جدًّا** أن يستجيده أبو حيان .

- **ودليل ثالث :** وهو أن الوزير أبا عبد الله سأل أبا حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا، **فذكر له أوصافه، وفيها ما هو عيب لأبي** سليمان **كقوله:** إنه يجتمع مع قوم للشراب، ويذكر بعضهم الوزير **بالسوء، فلو كان أبو حيان ألفه لأبي** سليمان لكان **بعيدًا كل البعد أن يذكر هذا الحديث.**

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام المسدي محمد هارون، دار الفكر (د.ط)، (د.ت) الصفحة 145.

- **ودليل رابع : وهو أن أبا حيان** ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان،**ويذكر** آراءه **وينقل بعض رسائله** إلى الوزير، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من **أقواله ورسائله، ولكان** أبو حيان في ذلك كمن ينقل إلى البئر ماءه، وإلى **الكنز ذهبه،** وهذا غير مألوف ولا مستساغ. ولهذا كله نرجح **خطأ القفطي فيما ذهب إليه من أنه ألفه لأبي** سليمان **المنطقي.** فالكتاب في رأي أحمد أمين **كُتب لأبي** الوفاء **المهندس لا لأبي** سليمان المنطقي **ودَوِّن فيه** مادار في مجلس **ابن سعدان**[1].

**يقول الحبيب شبيل مستنتجا: إذن يظهر جليا** أن طلب أبي الوفاء هو السبب المباشر في تأليف الكتاب، لذلك نلاحظ أنّ **الإمتاع** والمؤانسة هو ثمرة ضغوط شديدة سلطت على **التوحيدي وجعلته** يخاف الغد، فلم يتردد لحظة واحدة في الاِستجابة لها، وما من شك في أن فشل التوحيدي في صلاته بالوزراء الآخرين (المهلبي واِبن **العميد والصاحب بن عباد)** جعله يخشى تهديد أبي الوفاء.

وقد عمد أبو الوفاء إلى تحديد حرية المؤلف لغة ومضمونا، فضبط له **بكل دقة الأسلوب الذي** يجب عليه إتباعه في التحرير فقال: **وليكن الحديث على تباعد أطراف واختلاف فنونه مشروحا والإ**سناد عاليا متصلا، والمتن تاما بيّنا، واللفظ حفيفا لطيفا والتصريح غالبا **متصدرا والتعريض قليلا** يسيرا.كما ضبط له مضمون الكتاب ومواضيعه في قوله: إلا أن تطلعني طلع جميع ما تحاورتما وتجاذبتما هدب الحديث عليه، وتصرفتما في **هزله** وجده،وخيره وشره،وطيبه **وخبيثه، وباديه ومكتومه** حتى كأني كنت شاهدا أو رقيبا عليكما أو متوسطا بينكما.

**فالكتاب هو وليد التهديد من ناحية ومن الخوف من ناحية أخرى، وقد ملك فيه أبو الوفاء على** أبي **حيان كامل حريته الفكرية والأسلوبية. ونلمس بعض القضايا اللسانية(اللغوية)** اِبتداء من رسالة أبي الوفاء التهديدية التحديدية في الآن ذاته، **إذ نجد علم البلاغة وعلم الأسلوب** إلى جانب الفكر اللغوي والنفسي يحاذيهما علم المصطلح وفن الخطاب وغيره، مما نستشفه من هذه المقتطفات ...

[1] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص[9-11].

واتق الحذف المخل بالمعنى، والإلحاق، والإلحاق المتصل بالهذر، واحذر تزيينه بما يشينه، وتكثيره بما يقلله، وتقليله عمّا لا يستغني عنه...فلعل هذه المثاقفة تبقى وتروى، ويكون في ذلك حسن الذكرى ولا تومىء إلى ما يكون الإفصاح عنه أحلى في السمع، وأعذب في النفس وأعلق بالأدب، ولا تفصح عما تكون الكناية عنه أستر للعيب، وأنفى للريب، فإن الكلام صلف تياه، لا يستجيب لكل إنسان، ولا يصحب لكل لسان ... ومادته من العقل والعقل سريع الحؤول خفي الخداع وطريقه على الوهم، والوهم شديد السيلان ومجراه على اللسان واللسان كثير الطغيان، وهو مركب من اللفظ اللغوي والصوغ الطباعي، والتأليف الصناعي والاستعمال الاصطلاحي، ومستملاه من الحجا، ودربه بالتمييز، ونسجه بالرقة... ولا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهوى لمعنى دون اللفظ، وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب، فإن صناعتهم يغتفر فيها أشياء يؤاخذها غيرهم، ولست منهم...[1]

**رابعا : هيكلة الكتاب ومواضيعه.**

يتكون كتاب الإمتاع والمؤانسة من الناحية الشكلية الهيكلية في ثلاثة أشياء صدرت بالتوالي سنة1939- 1942- 1944 بالقاهرة وفي سنة 1978 أصدرت وزارة الثقافة بدمشق طبعة مختصرة في جزأين وهي من اختيار وإعداد الدكتور إبراهيم الكيلاني ويعد الكتاب من أهم كتب التوحيدي وأجلها خطرا، وتولى طبعه وتحقيقه الأستاذ أحمد أمين[2].

قسّم أبو حيان كتابه إلى ليال، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقلت له وأجبته، وكان الذي يقترح الموضوع دائما هو الوزير، وأبو حيان يجيب عما اقترح، وكان الوزير يقترح أولا موضوع حسبما اتفق وينتظر الإجابة، فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكارا ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأل عنها، فقد يسأله سؤالا يأتي في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم

[1] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص39-40.

[2] أبي حيان التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، ص78.

وهكذا، يستطرد من باب لباب، حتى إذا اِ هي المجلس كان الوزير يسأله غالبا أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالبا:«ملحة الوداع» فيقول الوزير- مثلا- إن الليل قد دنا من فجره، هات ملحة الوداع، وهذه الملحة تكون- عادة- نادرة لطيفة أو أبياتا رقيقة، وأحيانا يقترح الوزير أن تكون ملحة الوداع شعرا بدويا يشم منه رائحة الشيح والفيصوم وهكذا.

وأحيانا يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة؛ فقد سأله مرة عن المصادر التي تجيء على وزن تفعال، فأجابه أبو حيان عن بعضها، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها... وأحيانا يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما ل مرة، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس. قال أبو حيان: فلما قرأتها على الوزير قال: ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوي هذه الوصايا و الملح .

وآونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاِجتماع، يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل.[1]

ويحدث أحيانا أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه أن يفكر في الإجابة عنها ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها، كما حدث مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب وقال: باحث عنها أبا سليمان وأبا الخير، ومن تعلم أن في محاوراته فائدة وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح وصفته ومنفعته، وما المانع أن تكون النفس جسما أو عرضا أو هياء: وهل تبقى؟ وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه له هنا إلخ، ويقول الوزير في آخر هذه الرقعة: إن هذا وما اشبهه شاغل لقلبي وجاثم في صدري، ومعترض بين نفسي وفكري، وما أحب أن أبوح به لكل أحد. ويأمره بأن يكتم خطه فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو، ثم سأل أبو حيان أبا سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير وعلى هذا النمط يجري تأليف الكتاب وموضوعاته متنوعة تنوعًا ظريفا لا تخضع لترتيب ولا تبويب، إنما تخضع لخطرات العقل

[1] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1، ص12-13.

وطيران الخيال وشجون الحديث، حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة **وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه** وتصوير للعادات وأحاديث المجالس، وغير ذلك مما يطول شرحه.[1]

ويمكن أن نحدد أهم المواضيع المقترحة والمطروحة في الكتاب إجمالا بالعناصر التالية:

1- نقد المعاصرين من الفلاسفة والمفكرين والأدباء والمتكلمين.

2- البحث في طبائع الحيوان.

3- بين الفلسفة واللغة (المنطق والنحو).

4- بين الفلسفة والشريعة.

5- مختارات من جوامع الكلام والأحاديث الفصيحة.

6- المفاضلة بين الشعر (النظم) والنثر.

7- المفاضلة بين الحساب والبلاغة.

8- الحديث عن المغنيين والمغنيات ببغداد وأحوال الناس في الطرب.

9- أمر المطعمين والطامعين.

10- أسئلة فلسفية عن النفس والمعاد وحدود الأخلاق.

11- أحداث تاريخية.

12- أحوال المتكلمين في أقوالهم وشكوكهم.[2]

---

[1] المصدر السابق، ص14.

[2] عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص41-42.

13-الحديث عن خصائص الأمم .

14- المفاضلة بين العرب والعجم.

15- التفرقة بين العرب والعجم.

16- التفرقة بين العقل والحس.

وغيرها من المواضيع التي تعكس الثقافة الشمولية التي وسمت مؤلفات ذلك العصر، وهي الثقافة التي حددها الجاحظ من قبل بقوله:«**الأخذ من كل طرف**» وبهذا الثراء يكون كتاب الإمتاع والمؤانسة صورة جلية لما ينبغي أن تكون عليه المصنفات النثرية في عصر التوحيدي، **وقد أكد النقاد** والدارسون القدامى على هذه النزعة الشمولية التي ميزت الكتاب، وإعتبرها شهادة على سعة علم **صاحبه واتساع** دائرة معارفه يقول صلاح عبد الصبور: " وكتب أبي حيان في **معظمها شبيه** باليوميات، وفيها كثير من أدب الاِعتراف، فكتابه **الرائع "الإمتاع والمؤانسة"** هو ثمرة أربعين ليلة من السهر كان فيها أبو حيان ينادم أحد وزراء عصره ويفيده علم الأدب ومذاهب الفكر."[1]

ثم إنّ أسلوبه في تقسيمه إلى ليال، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار، يجعله **لذيذا شيقا، أو** على حد تعبيره هو -ممتعا مؤنسا- **فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة، ولكنها ليست** ليالي اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام، وإنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك،**كما يتعرض لمشاكل البلغاء كالليلة البديعة** التي **جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاصلة بينهما، ومزايا كل ونقصه وهكذا.**

فإن **كان ألف ليلة وليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية في ملاهيها وفتنها وعشقها ،فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية، كيف يبحثون، وفيم يفكرون،** وكلاهما

[1] المرجع السابق ، ص42.

في شكل قصصي مقسم إلى ليال، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة، وأسلوب أبي حيان في الكتاب أسلوب أدبي راق كعهدنا في كل كتابته، يحب الإزدواج ويطيل في البيان، ويحتذي حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة في تصوير الفكر، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولا، ولكن أغمض أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيرا لمسائل فلسفية عميقة قد عزت على البيان، ودقت عن الإيضاح، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة إلى موضوعات أدبية: كوصف لفقره و بؤسه، أو وصف للكرم وفوائده، أو وصف للسان والبيان، جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع.[1]

[1] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص17-18.

# الفصل الثاني

## محتويات الفصل الثاني.

### القضايا اللغوية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

1- القضية البلاغية: البلاغة والكتابة الديوانية.

2- القضية الأصولية: الفرق بين العرب والعجم، الأسواق الأدبية، غريب اللفظ عند الأصمعي.

3- قضية النحو: " الواو" في النحو العربي، حرف "في" في النحو العربي، " التقديم والتأخير" في النحو.

**التمهيد:**

إن موضوع القضايا اللغوية عموما من أبرز الموضوعات التي ما تزال تحتاج لكثير من الدراسة وخاصة في ضوء محاولات إحياء التراث رغبة في الدراسة والفهم لها وفي نفس الوقت محاولة الاستفادة منها، من أهم أدباء والعلماء القدامى الذين تركوا بصمتهم على اللغة العربية بمؤلفاتهم القيمة، نجد أبا حيان التوحيدي الذي حظي بدراسات لغوية واسعة لمؤلفاته التي تعد ذخرًا وموسوعة أدبية ولغوية شاملة. ومن مؤلفاته كتاب "الإمتاع والمؤانسة" الذي يعد من الكتب القيمة الجامعة لأهم قضايا اللغة وإن غلب عليه الطابع الأدبي، وهذا الكتاب ثمرة لمسامرات أربعين ليلة نادم فيها التوحيدي الوزير ابن سعدان. وموضوع قضايا اللغة جدّ متشعب ومن الصعب حصره، وكتاب الإمتاع والمؤانسة ينفرد بنوادر لم يوردها غيره، وسنحاول بحول الله الوطء عند أبرز القضايا اللغوية المطروحة فيه.

## – القضايا اللغوية :

### 1– القضية البلاغية : البلاغة والكتابة الديوانية.

ذكر التوحيدي في الليلة السابعة قضية البلاغة والكتابة الديوانية، وقد جرت بينه وبين ابن عبيد عدة مناقشات حولها ولكل منهما رأي مخالف عن الآخر، فالبلاغة عند ابن عبيد هي: "زخرفة وحيلة، وهي شبيهة بالسراب كما أن الأخرى شبيهة بالماء قال: من خساسة البلاغة أن أصحابها يسترقعون* ويستحمقون وكان الكتاب قديما في دور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إن نعوذ بك من رقاعة المنشئين وحماقة المعلمين، وركاكة النحويين والمنشأ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلات: والآفة تشملهم والعادة تجمعهم، والنقص يغمرهم، وإن اختلفت منازلهم، وتباينت أحوالهم"[1]

ابن عبيد في قوله هذا يناقش أبا حيان حول أمر البلاغة والحساب فيقف وقفة مؤيد للحساب ومعارض للبلاغة فيقدم الأول عن الثاني ويبين أنه أفضل وأنفع، ويرى أن السلطان أحوج إليه من البلاغة كما اعتبرها شيئًا شبيهًا بالخيال فيقول عنها سراب وهزال، أما الحساب فهو شيء مادي ومحسوس فيشبهه بالماء، وينسب البلاغة للحمقى والحساب للفطناء.

وجاء تعريف أبو حيان للبلاغة كردّ على ابن عبيد فقال : "البلاغة هي الجد، وهي الجامعة مرات العقل، لأنها تحق الحق وتبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه، ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف، وأغراض تأتلف، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشر

*يسترقعون : مادة(رقع): أرقع الرجل أي جاء برقاعة وحمق. والرقعة : قطعة من الأرض تلتزق بأخرى. والرُقعة شجرة عظيمة كالجوزة والرُقعة مارقع به وجمعها رُقَع به وجمعها رُقَع ورقاع والرقعة واحدة والرقاع التي تكتب. ينظر لسان العرب لابن منظور، ج(5) ، الصفحة 285-286.

1أبوحيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة ج(1) الليلة السابعة ص139-140.

وإباء وإذا كان، وطاعة وعصيان وعدل وعدول، وكفر وإيمان، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة وهذا هو حد العقل"[1]

جاء قول أبي حيان هذا كمعارضة لما قاله ابن عبيد عن البلاغة فأبو حيان يعتبر البلاغة هي الجد وهي الجامعة لثمرات العقل، والعقل بدوره يميز بين ما هو باطل وما هو حق لذا نجد البلاغة تختلف وتأتلف لأغراض عدة ثم يجمع التوحيدي على أن البلاغة هي العقل بذاته فيقول عنها حد العقل لأن من يتمتع بالعقل يتمتع بالإبداع الفني كالحكمة والبيان والخطابة ...

- تحدث التوحيدي في نفس الليلة عن مبدأ البلاغة فقال : "مبدأها من العقل، وممرها على اللفظ وقرارها في الخط، وأنت إذا قلت هذا دللت من نفسك على أنه ليس لك ما تبصر به هذا المبدأ الشريف وهذا الأول اللطيف"[2]

يشير التوحيدي إلى أن المبدأ أو الأساس الرئيسي للبلاغة من العقل وما يساير البلاغة هو اللفظ لأن اللفظ ترجمة للأفكار في الذهن أو العقل والتجسيد الفعلي لهذا الأخير يكون عن طريق الخط وبالتالي تكون البلاغة صناعة معروفة المبدأ لا مجهولة المبدأ كما قال ابن عبيد . ولقد ذكرنا سابقا أن التوحيدي زامن الجاحظ في عصره وتأثر بأسلوبه البلاغي الراقي والبلاغة عند الجاحظ اتصلت باللسان والقلم، والجاحظ يؤكد لنا مبدأ البلاغة فيقول:"لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة ،حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[3]

[1] المصدر السابق ،ج (1)، الليلة السابعة، ص143.

[2] المصدر نفسه ج (1) ص143.

[3] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، تح د. ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ط(1) سنة 1998 ص152.

نلاحظ أن التوحيدي ربط البلاغة بالعقل ثم اللفظ ثم الخط، أما الجاحظ فربطها بداية بالمعنى ثم اللفظ.

– أما عن دور البلاغة فقد تحدث عنها التوحيدي مبرزًا أهميتها في دواوين الدولة وفي ذلك يقول : «مدارها على الإفهام البليغ والبيان المكشوف والاحتجاج الواضح»

يتحدث التوحيدي هنا عن دور وأهمية البلاغة في دواوين الدولة فهي تعد مبحث قديم وجهته الإقناع أو الاحتجاج أيضًا يكمن مدارها في الكشف عن البيان الذي يُعنى بإيراد المعنى الواحد بطرق وتراكيب متباينة في الوضوح، والدلالة على هذا المعنى وبالتالي إزالة اللبس والوصول إلى الإفهام كما يقول التوحيدي.

– ثم بين التوحيدي أن للبلاغة والبلغاء ضرورة قصوى لوجودهم في المملكة ومدى تأثيرهم عليها حيث قال: « إن المملكة تكتفي بمنشئ واحد فقد صدقت، وذلك أن هذا الواحد في قوّته يعنى بآحاد كثيرة، وهؤلاء الآحاد س في جمعهم وفاء بهذا الواحد، وهذا عليك لا لك، لكن بقي أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما تحتاج إلى العطارين، ولا يدل هذا على أن الاسكاف أشرف من العطار، والعطار دون الاسكاف، والأطباء أقل من الخياطين، ونحن لهم أحوج، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط »[1].

جاء قول أبو حيان مناقش لابن عبيد في نفس الوقت أما عجز الأول فالتوحيدي يوافق الوزير في أن المملكة قد تكتفي ببليغ واحد شرط أن يكون هذا البليغ يعادل كمًا هائلاً من البلغاء، ثم سرعان ما يعارض هذا ويبين أن وجود البلغاء في المملكة بات أمرا ضروريا بضرب مثل بسيط عن ضرورة حاجة الاسكافي للعطار والعطار للاسكافي فكل منهما ضروري وفي حاجة للآخر.

[1] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1،الليلة السابعة، ص144.

– وفي نفس الليلة ذكر كُلٌ من ابن عبيد وأبو حيان فنا آخر وهو الكتابة الديوانية المعروفة بالحساب فكل طرف منهما يعطي لها تعـ ـا مختلفًا ويعتبر ابن عبيد الكتابة الديوانية أنها أنفع وأفضل وهي لأهم في المملكة ومن خلال هذا النقاش الذي دار بينهما نعطي تعريفًا للكتابة الديوانية على أنها : «هي مجموعة من الرسائل التي تصدر عن الحكام والسلاطين، أو عن دواوين إنشائهم، يتناول فيها الكُتاب على لسان حكامهم مواضيع مختلفة، فهي تصدر عن ديوان الخليفة يوجهها إلى ولاته وقادة جيشه وأعدائه، وكان لكل خليفة كاتب يتولى الكتابة عنه في شؤون الدولة ومهامها[1]»

وفي موضع آخر يتحدث التوحيدي عن البلاغة والحساب ويعدُ كل منهما مكمل للآخر، فيقول : «ثم اعلم أن البليغ مشتمل بلاغته من العقل، ومأخذه فيها من التمييز الصحيح، وليس كذلك الحساب في متناوله فلو ظن ظان بأن مدار الملك على الحساب–فهو صحيح– ولكن بعد بلاغة المنشئ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلاطف ويخاطب، ويحتج ويعنف ويوعد ويعد ويضمن ويمني ويعلق الأمل ويؤكد الرجاء ويحسم المادة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويجنبهم مرارة الجور، ثم يحي،فإذا جبى احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالما، ثم يتقدم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمنا، فانظر إلى المنزلتين كيف اختلفنا ؟ وكيف حصلت المزية لإحداهما؛ ولو أنصفت لعملت أن الصناعة جامعة بين الأمرين، أعني الحساب والبلاغة؛ والإنسان لا يأتي إلى صناعة فيشقها نصفين، ويشرّف أحد النصفين على الآخر»[2]

يبين أبو حيان أن مدار الملك لا يقتصر على الحساب فقط بل يحتاج أيضا إلى البلاغة لأن السلطان يتعامل مع مواقف عدة كالأمر والنهي والملاطفة والخطاب والاحتجاج ...فإذا ما كان على

[1] مزوزية حداد،سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية 515–668هـ/1121–1269م،مذكرة ماجستير،مسعود مزهودي ،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة الحاج لخضر باتنة،2013/2012، ص9.

[2] أبوحيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص142– 143.

علم بالبلاغة احتيج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالمًا ومنه يفترض الجمع بين الأمرين (الحساب، البلاغة) وبالتالي لا يمكن تفضيل واحدة على حساب الأخرى.

نستنتج مما سبق أن التوحيدي خصص الليلة السابعة للحديث عن قضية لغوية هامة، فكان مدار النقاش بين ابن عبيد والتوحيدي عن البلاغة والكتابة الديوانية، فكان لكل منهما رأي مخالف للآخر فابن عبيد يفضل الكتابة الديوانية أو الحساب واعتبرها مهمة داخل المملكة أما أبو حيان فيعارض ذلك ويفضل البلاغة ويعتبرها هي الأهم والأساس، ويبرز التوحيدي مبدأها ألا وهو العقل ثم يشير إلى دور البلاغة في دواوين الدولة فأهميتها تكمن في الإفهام البليغ بالدرجة الأولى والبيان المكشوف ثانيًا والاحتجاج الواضح ثالثا ،ثم يربط المملكة بالبلاغة والبلغاء ويقر بضرورة احتياج الأولى للثانية فلا وجود لمملكة إلا بوجود بلاغة وبلغاء فكل منهما في حاجة للآخر كما يحتاج كل فرد في المجتمع للآخر.

وبعد أخذ ورد يوازن ويجمع التوحيدي على أن البلاغة والحساب كلاهما واحد ولا يمكن الفصل بينهما لأن السلطان يحتاج إلى البلاغة كما يحتاج إلى الحساب ليكون بذلك عالمًا داخل المملكة.

**2- القضية الأصولية:الفرق بين العرب والعجم،والأسواق الأدبية، غريب اللفظ عند الأصمعي.**

جاء في الليلة السادسة حديث مطول عن العجم والعرب، وقد افتتح الوزير ابن سعدان النقاش بسؤال وجهه لأبي حيان، فقال : أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب ؟

فقال التوحيدي:"إن الأمم عند العلماء أربع:العرب، الروم، وفارس،والهند والثلاثة الأواخر هم من العجم، فقبل أن يعطي حكما بشيء قدم للوزير كلامًا لابن المقفع*فقال:أي الأمم أعقل؟ فظننا أنه يريد الفرس، فقلنا الفرس أعقل الأمم، نقصد مقاربته، ونتوخى مصانعته، فقال :كلا ليس ذلك لها ولا فيها، وهم قوم علموا فتعلموا ومُثّل لهم فامتثلوا واقتدوا وبدأو بأمر فصاروا إلى إتباعه، ليس لهم استنباط ولا استخراج فقلنا له: الروم، فقال : ليس ذلك عندها، بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما، ولا يحسنون غيرهما، قلنا: الصين، قال: أصحاب أثاث وصنـــعة لا فكر لها ولا روية، قلنا : فالترك. قال: سباع للهراش. قلنا : فالهند، قال: أصحاب وهم ومحرقة وشعبذة وحيلة، قلنا: فالزنج. قال: بهائم هاملة، فرددنا الأمر إليه قال: العرب"[1] ثم يقدم ابن المقفع بعض الحجج ليبين سبب اختياره للعرب فقال:« ... نظر إلى الزمان واختلافه فجعلوه ربيعًيّا وصيفيًا وقيضيا وشتويا، ثم علموا أن شربهم **من السماء ، فوضعوا لذلك الأنواء؛** وعرفوا تغير الزمان فجعلوا له **منازله من السنة؛** واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض، **فجعلوا نجوم السماء أدلة على أطراف الأرض** وأقطارها فسلكوا بها البلاد؛ **وجعلوا بينهم شيئا ينتبهون به عن المنكر،** ويرغبهم في الجميل ويتجنبون به على الدناءة ويحضهم على المكارم، حتى **إن الرجل منهم وهو** في فج من الأرض يصف المكارم فما **يبقى من نعتها** شيئا، ويسرف في ذم المساوئ فلا يقصّر: ليس لهم كلام إلا وهم يحاضون به على

*ابن المقفع:(106-142هـ/724-759م) من أئمة الكتاب، وأول من عني في **الإسلام** بترجمة كتب المنطق،أصله من الفرس،ولد في العراق،ترجم عن الفارسية كتاب(كليلة ودمنة)وأنشأ رسائل منها:(الأدب الصغير، الأدب الكبير،اليتيمة).خير الدين الزركلي،الأعلام ص140.

1 أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ج1-الليلة السادسة ص110.

اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد،كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ويستخرجه بفطنة وفكرته فلا يتعلمون، ولا يتأدبون، بل نحائز مؤدبة، وعقول عارفة، فلذلك قلت لكم: إنهم أعقل الأمم، لصحة الفطرة واعتدال البنية، وصواب الفكر، وذكاء الفهم، هذا آخر الحديث»[1].

ثم يأتي الجيهاني*في كتابه وهو يسب العرب ويتناول أعراضهم، ويحط من أقدارهم، ويقول«يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيات، ويتعاورون ويتساورون، ويتهاجون ويتفاحشون،وكأنهم قد سلخوا من فضائل البشر، ولبسوا أهب الخنازير»[2].

أما التوحيدي فلقد أكد على أن لكل أمة فضائل ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوئ ويذكر بعض من محاسن العرب فيقول:«... على أن العرب أحسن الناس حالا وعيشًا إذا جادتهم السماء وصدقتهم الأنوار؛ وازدانت الأرض، فهدلت الثمار، واطردت الأودية، وكثر اللبن والأقط والجبن واللحم والرطب والتمر والقمح، وقامت لهم الأسواق، وطابت المرابع، وفشا الخصب، وتوالى النتاج،واتصلت الميرة، وصدق المصاب وأرفع المنتجع، وتلاقت القبائل على المحاضر،وتقاولوا وتضايفوا وتعاقدوا وتعاهدوا، وتزاوروا وتناشدوا، وعقدوا الذمم، ونطقوا بالحكم؛ وقروا الطراق ووصلوا العُفاة وزودوا السابلة، وأرشدوا الضلال، وقاموا بالحمالات وفكوا الأسرى، وتداعوا الجفلى، وتعافوا النقرى

[1] المصدر السابق ص111.

*الجيهاني: (كان حيا367ه-978م) هو أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (أبو عبد الله) أديب،تولى الوزارة بخراسان،له من الكتب:العهود والخلفاء والأمراء،المسالك والممالك وكتاب رسائل.عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين ج1 ص301.

[1] أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ج1.الليلة السادسة ص116.

وتنافسوا في أفعال المعروف؛ هذا وهم في مساقط رؤوسهم، بين جبالهم ورمالهم، ومناشئ آبائهم **وأجدادهم، ومواليد أهلهم وأولادهم،** على جاهليتهم الأولى والثانية»[1].

وفي وصف العرب يقول أيضا:«... **فالذي لاشك فيه من وصف العرب، ولا حاجد** له من حالها **أنه ليس على وجه الأرض جيل من الناس ينزلون القفر، وينتجعون السحاب والقطر، ويعالجون الإبل** والخيل والغنم وغيرها، ويستبدون في مصالحهم بكل ما **عزّ وهان، وبكل ما قل وكثر،وبكل ما سهل وعسر،** ويرجون الخير من السماء في صوبها، ومن الأرض في نباتها؛ مع مراعاة **الأوان بعد الأوان وثقة** بالحال بعد الحال وتبصرة فيما بفعل ويجتنب؛ ما **للعرب فيما قدمنا وصفه، وكررنا شرحه من علمهم بالخصب والجدب، واللين** والقسوة والحر والبرد، والرياح المختلفة والسحاب الكاذبة، **والمخايل الصادقة، والأنواء المحمودة والمذمومة، والأسباب الغريبة العجيبة.** وهذا لأنهم مع توحشهم مستأنسون وفي بواديهم حاضرون، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسن العادات، ومن أخلاق البادية **أطهر الأخلاق.** وهذا المعنى على هذا النظم قد عدمه أصحاب المدن وأرباب الحضر لأن الدناءة والرقة والكيس والهُيَن **والخلابة والخداع والحيلة والمكر والخب تغلب على هؤلاء وتملكهم، لأن مدار** أمرهم على المعاملات السيئة والكذب في الحس، والخلف في الوعد»[2] وجاء في قول لأبي حيان: « وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشي في سَمِل: أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ **فقال: أمشي الخيزلى** ويدفئني حسبي. **والفارسي لا** يحسن هذا النمط، ولا **يذوق** هذا المعنى، ولا يحلم بهذه اللطيفة وكذلك الرومي والهندي وغيرهما من جميع العجم »[3]

[1] المصدر نفسه ج1 ص117

[2] المصدر السابق ج1 ص119

[3] المصدر نفسه ،ج1ص119

واستنتاجا من قوله هذا يتبين لنا أن التوحيدي حاول توضيح أمر مهم وهو أن العرب يحتج بكلامهم على عكس العجم.

والتوحيدي تحدث عن قضية أصولية هامة وتعد سببًا رئيسيًا للأخذ بكلام العرب كحجة ألا وهي الأسواق الأدبية، التي تعد مكانا لاستعراض القدرات الفنية البلاغية وفي ذلك يقول : «وما يدل على تحضرهم في باديتهم، وتبديهم في تحضرهم، وتحليهم بأشرف أحوال الأمرين، أسواقهم التي لهم في الجاهلية، مثل دُوَمة الجندل بقرى كلب وهي النصف بين العراق والشام، كان ينزلها الناس أول يوم من شهر ربيع الأول فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ وكان يعشرهم أُكَيدِر دومة، وربما غلبت على السوق كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر،ثم ينتقلون إلى سوق هجر، وهو المشَقَّرُ في شهر ربيع الآخر، فتقوم أسواقهم؛ وكان يعشرهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم، ثم يرتحلون نحو عمان، فتقوم سوقهم بديار دَبَا، ثم بصحار، ثم يرتحلون فينزلون إرم، وقرى الشجر فتقوم أسواقهم أياما، ثم يرتحلون فينزلون عدن أبين، ومن سوق عَدَن تشترى اللطائم وأنواع الطيب، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا، ولا أحذق صناعا للطيب من عدن؛ ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضر موت، ومنهم من يجوزها ويرد صنعاء، أسواقهم بها، ومنها كانت تجلب آلة الخرز والأدَمُ والبُرود، وكانت تجلب إليها من معافر، وهي معدن البرود والحِبر ثم يرتحلون إلى عُكاظ ذي المجاز في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم بها، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون، ومن له أسير يسعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ثم يقفون بعرفة، ويقضون ما عل م من مناسكهم، ثم يتوجهون إلى أوطانهم، وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة، فيحضرها من قرب العرب ومن بُعد، هذا حدثيهم، وهم هم لا عزّ إلا بالسؤدد، ولا معقل لهم إلا السيف، ولا حصون إلا الخيل ولا فخر إلا بالبلاغة»[1]

[1] المصدر السابق ج1 الليلة السادسة ص [119-121]

وجاء في كتاب تاريخ الآداب العربية لرشيد يوسف عطا الله حديث عن الأسواق الأدبية القديمة وفي ذلك يقول:«**كان للعرب** في جاهليتهم مواسم عامة تحضرها الوفود من جميع القبائل وهم يسمونها أسواقا وكانوا يقيمونها في **أزمة وأمكنة معينة يقصدها القوم لمصالحهم، فمن تلك الأسواق** وأحفلها سوق عكاظ بين نخلة والطائف فكان يتقاطر إليها العرب من كل فجٍ وصوب ويقيمون فيها شهر يبعون ويشترون ويأخذون ويعطون ويقضون مهماتهم وأمورهم ثم يأخذون في إلقاء الخطب وانشاد القصائد فيتفاخرون ويتنافسون على مسمع من تلك الجماهير الغفيرة وفيهم الأمير والمأمور والرئيس والمرؤوس والرفيع والوضيع من جميع قبائل العرب قاصيها ودانيها »[1].

والتوحيدي حاول أن يشير في آخر المطاف الليلة السادسة إلى أمر مهم كان عند الشعراء العرب وهو تنوع الأغراض البلاغية ومن الذين قاموا بجمع اللغة الأصمعي وهو من **أشهر النحاة** لغويين لقب بالبلبل لأنه يطربهم بنغماته، حيث جمع اللغة في أغراض بلاغية شتى كالفخر والمدح...إلخ، وقد أنشد الأصمعي* عن العرب قول قائلهم في مدح صاحب له:

فتى لم تلده بنت عمٍ قريبة * * * **فيضَوى وقد يضوى رديدُ الأقارب.**

[1] رشيد يوسف عطا الله تاريخ الآداب العربية تح د.**علي نجيب عطوي مؤسسة عز** الدين ط1، 1985م مجلد(1) ، ص21.

***الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي** المعروف بالأصمعي نسبة إلى أصمع أحد أجداده ولد **بالبصرة**، أقبل على العلوم فأتقنها جميعا حتى أصبح حجة أدباء زمانه في كل فن من فنون الأدب وكان الامام أحمد بن حنبل يقول:"إن الأصمعي ثقة في السنة" **وقال الشافعي «ما رأيت بذلك العسكر أصدق من الأصمعي» وللأصمعي تصانيف** كثيرة **منها كتاب الخيل** لما توفي رثاه **أبو العناهية بقوله:**

أسفتُ لفقد الأصمعي لقد مضى حميدا له في كل صالحة سهمٌ

تقضت بشاشات المجالس بعده ووّدعنا اذ ودّع الأنس والعلم

**وقد كان نجم العلم فينا حياته فلما انقضت أيّامه أفل النجمُ**

المرجع نفسه ص[387-388]

قال: وقالت العرب: «أضواه **حقّه**»: إذا نقصه. قال:آخر لولده: **والله لقد كفيتك الضؤولة**، واخترت لك الخؤولة، وقال أيضا: العرب تقول: «**ليس أضوى من القرائب، ولا أنجبَ من الغرائب**»

وقال الشاعر:

أنذرتُ من كان بعيد الهم * * * تزويج أولادِ بنات العمّ

ليس بناجٍ من ضوى أو سقم * * * **وأنت إن أطعمتَه لا يَنمِى**

وقال الأسري يفتخر:

**ولست بضاوي تموج** عظامه ولادته في خالـــد بعد خالـــد

تردد حتى عمه خال أمـــه إلى نسب أدنى من السر واحد

ثم قال: « لم ترد بهذا إلا نقص الذهن والعقل، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت لطئة،لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة ثم قال: **وعلى هذا طباع الأرض، ولذلك يقال: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض**، لأن الرياح إذا اختلفت حولت تراب أرض إلى أرض، وإذا كان الاغتراب يؤثر من التراب إلى التراب، **فبالأحرى أن يؤثر الإنسان في الإنسان** بالاغتراب، لأن **الإنسان** أيضا من التراب»[1]

نستنتج مما سبق أن مدار الحديث الذي دار بين أبي حيان التوحيدي والوزير ابن سعدان في الليلة السادسة حديث مطول وموسع مفاده تفضيل العرب عن العجم حيث ذكر فيه محاسن **ومساوئ** كل قوم، ذكر قضية أصولية ألا وهي الأسواق الأدبية القديمة التي كانت هي تلك

[1] المرجع السابق ص388.

التجمعات لاستعراض الإبداعات الأدبية في شتى الفنون الأدبية من شعر ونثر وخطب ...إلخ، وذكر منها عكاظ، دومة الجْندل... إلخ، كما فضل فيها العرب عن العجم وأشار إلى ضرورة الاحتجاج بكلام العرب على عكس العجم، وتناول في آخر مطاف الليلة حديث ليس بالمطّول عن بليل العرب وهو الأصمعي المعروف بجمعه للغة وحديثه على لسان العرب وإتقانه للكثير من الأغراض البلاغية كغرض الفخر والمدح ... ،بهذا ختم التوحيدي حديث سمرته ويجمع على أن الأصمعي حجة أدباء زمانه في كل فن من فنون الأدب.

**3– قضية النحو:"الواو" في النحو العربي، حرف"في"في النحو العربي،"التقديم والتأخير"في النحو.**

ذكر أبو حيان في الليلة الثامنة للوزير مناظرة، وقد جرت هذه الأخيرة في مجلس الوزير أبي الفتح بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متَّى* فكان موضوع هذه المناظرة يتمحور حول قضية فلسفية ألا وهي المنطق، فعرّفه متَّى في قوله: « أعني به أنه آلة من آلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان.فإني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح»[1].

وقد خطّأه أبو سعيد في ذلك فقال: «صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية؛ وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إذا كنَّا نبحث بالعقل؛ وهبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن، فمن لك بمعرفة الموزون أيّها هو حديد أو ذهب أو شبه أو رصاص ؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته

*أبو بشر متَّى، هو ابن يونس القنائي من أهل ديرقنى،كان نصرانيًا عالمًا بالمنطق، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه، نزل بغداد سنة 320 وكانت وفاته سنة328. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1، ص184.

1 أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1، الليلة الثامنة ص154.

وسائر صفاته التي يطول عَدَّها؛ فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه إعتمادك، وفي تحقيقه **كان** اجتهادك، إلا نفعا يسيرا من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، **فأنت كما قال الأول:**

حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

**وبعد، فقد ذهب عليك شيء ها هنا، ليس كل ما** في الدنيا يوزن، بل فيها مايوزن، وفيها **مايكال وفيها مايذرع، وفيها ما يمسح، وفيها ما يحرز وهذا وإن كان هكذا** في الأجسام المرئية، فإنه على ذلك أيضا في المعقولات المقررة، والإحساسات ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد، مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة»[1].

بعد هاته الآراء المختلفة من كلا الطرفين حول المنطق جاء متَّى ليؤكد "أن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة"[2]. ثم ينظر أبو سعيد في رأي متَّى هذا ويبين أن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة التي جاء بها متَّى لا **يوصل إليها إلاّ باللغة** الجامعة للأسماء والأفعال والحروف. **فعلى معلّم اللغة أن يكون على دراية بكل** الأغراض البلاغية اللغوية وسياقاتها المناسبة فلكل مقام مقال.

وإثر هذا الحوار الذي دار بينهما يطرح أبو سعيد على متَّى مسألة نحوية كانت دائرة في كلام **العرب ومعانيها متميزة عند أهل العقل،** وطلب منه أن يستخرج تلك المعاني من ناحية المنطق وهاته **المسألة مدارها حرف"الواو".**

فسأله عن أحكام الواو ومواقعه وهل هو على وجه أو وجوه ؟

[1] المصدر نفسه ص154.

[2] المصدر السابق ص155.

فبهت متَّى وقال:"هذا نحو والنحو لم أنظر فيه، **لأنه حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجته شديدة** إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فب**العرض وإن عثر** النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى" **فكان رد أبو سعيد على أن:" النحو منطق ولكنه مسلوخ** من العربية والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى،أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان،لأن **الزمان يقفو** أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان،لأن مستملى المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية،وكل طيني متهافت"[1] .

**ويفصّل** أبو سعيد حول مواقع ووجوه الواو ومن ذلك يقول:" منها معنى العطف في قولك : «**أكرمت زيدًا وعمرًا**» ومنها القسم في قولك: « **والله لقد كان كذا وكذا**»، ومنها الاستئناف في قولك: «**خرجتُ وزيدًا قائم**» لأن الكلام بدء ابتداء وخبر ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم "وقائِم الأعماق خاوي المخترق"، ومنها أن تكون أصلية في الاسم،كقولك: واصِل واقدٌ وافِدٌ، وفي الفعل كذلك،كقولك: **وَجِل يوجَل**، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل: «**فلمّا أسلما** وتَلَّه للجَبينِ ونَادينَاهُ» أي ناديناه، **ومثله قول الشاعر:"فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى"** المعنى: **انتحى** بنا، ومنها معنى الحال في قول عز وجل :«ويكلّم الناس في المَهْدِ **وكَهْلاً**» أي يكلم الناس في كهولته ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر، كقولك: **استهوى الماءُ والخشبة أي مع الخشبة**"[2].

وورد في كتاب النحو الوافي لعباس حسن بعض أحكام الواو التي ذكرها أبو حيان التوحيدي على لسان أبي سعيد: ومن أحكام واو العطف التي تشارك فيها بعض أخواتها، أنها:

[1] أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسةج1،ص158.

[2] المصدر السابق ص161-162.

أ- **تعطف** مفردات والجمل وأشباهها، وأنها يجوز حذفها مع معطوفها بشرط أمن اللبس، ومن هذا قولهم: **راكب الناقة طليحان، والأصل:راكب الناقة والناقة طليحان.**

ب- وتنفرد الواو بأحكام نحوية لكاد تستأثر بها:

- **منها:** أنها الحرف المختص بعطف اسم على آخر حين **لا** يكتفي العامل في أداء معناه بالمعطوف عليه،نحو: **تقاتلَ النمرُ** والفيلُ، فإن العامل «**تقاتلَ**» لايتحقق معناه المراد بالمعطوف وحده، **فلو قلنا: «تقاتلَ النمر» ما** تم المعنى، لأن المقاتلة لا **تكون من طرف واحد،** وإنما تقتضي معه وجود طرف آخر **كي يتحقق معناها.**

-**ومنها: اختصاصها بعطف عامل قد حذف وبقي معموله،** نحو:« قضينا في الحديقة يومًا سعيدًا، **أكلنا فيه أشهى الطعام، وأطيب الفاكهة، وأعذب الماء» فكلمة:"أطيب" معطوفة على "أشهى" أي: أكلنا أشهى الطعام، وأكلنا أطيب الفاكهة.أما كلمة:" أعذب" فلا يصح عطفها على أشهى،إذ لا يصح أن يقال: أكلنا أعذب الماء لأن أعذب الماء لا** يؤكل، وإنَّما يشرب، ولهذا كانت كلمة **"أعذب"** معمولة لعامل محذوف، تقديره :**شرب،أي: وشربنا أعذب الماء، والجملة بعد الواو معطوفة على** الجملة التي قبلها وهي:أكلنا،فالعطف عطف جملة على جملة .

-**ومنها: عطف الشيء على مرادفه لتقوية** معناه وتأكيد كقولهم: الصمت والسكوت عن غير السداد **سداد.فالمعطوف وهو" السكوت"** بمعنى المعطوف عليه:**"الصمت".**

ج-هي حرف من حروف الاستئناف داخلة على جملة مستأنفة.[1]

[1] ينظر عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف-مصر- الطبعة الثالثة،(د.ت) صفحة [560-572]

د- **وتكون لمطلق الجمع** والاشتراك في المعنى بين متعاطفين [1] ي المراد بالاشتراك أنها لا **تدل على أكثر** من التشريك في المعنى العام مثل: **وصل القطار والسيارة، تفيد الواو** مجرد الاشتراك المعطوف **(وهو: السيارة) مع المعطوف عليه (وهو: القطار)** في المعنى **المراد، وهو:(الوصول)** من غير أن تزيد **على هذا شيئا آخر.**

تحدث السيرافي أيضا في نفس المسألة عن معاني ومواضيع حرف"في" **يقول:**« سمعتكم تقولون : إن"في" **لا** يعرف النحويون مواقعها، وإنما يقولون: **هي" للوعاء" كما يقولون: إن الباء** للإلصاق**؛ وإن** "في" تقال على وجوه: **يقال** "الشيء في الإناء" **و**"الإناء في المكان" **و**"السائس في السياسة"**و**" السياسة في السائس"**... النحوي إذا قال** "في" **للوعاء فقد** أفصح الجملة عن المعنى الصحيح، وكنّ مع ذلك عن الوجود التي تظهر بالتفصيل؛ ومثل هذا كثير، وهو كافٍ في موضع التكنية»[2].

تطرق السيرافي في قوله السابق إلى أن الباء للإلصاق **فنجد أن** "في"و الباء يشتركان في المعنى نحو: ولكم في القصاص حياة. **و**"في" تأتي بعدة معاني أخرى منها: الظرفية نحو: غلبت الروم في أدنى **الأرض،** ومعنى مع والاستعلاء نحو: **ولأصلبّنكم** في جذوع النخل، ومعنى إلى نحو: **دعوت الكسلان** إلى الاجتهاد ويده في أذنيه[3].

وقد خاطب أبو سعيد متَّى حول مسألة **أخرى** هامة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها **بالشكل** اللفظي فقال له: **ما** تقول في قول القائل:« **زيد أفضل الإخوة» ؟ قال: صحيح. قال: فما تقول ان قال: « زيد أفضل أخوته» قال: صحيح.قال:فما الفرق بينهما مع الصحة فبلحَ وجنح**

[1] أحمد قبش، الكامل في النحو والصرف **والإعراب، دار الرشيد،** دمشق، بيروت،ط6، 1986 ، ص190.

[2] التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة** ج1. الليلة الثامنة، ص161.

[3] أحمد قبش، الكامل في النحو والصرف **والإعراب** ص174.

وغصَّ بريقه. فقال أبو سعيد: أفتيتَ على غير بصيرة ولا استبانة، المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها، والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضا ذاهبا عن وجه بطلانها.

ثم يبرهن السيرافي لمتَّى عن قوله هذا قائلاً: «لِمَ تدعي أن النحوي إنما ينظر في اللفظ دون المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصحّ لو أن المنطقي كان يسكت ويجيل فكره في المعاني،ويرتب مايريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحدس الطارئ، فأما وهو يريغ أن يبرر ما صحَّ له بالاعتبار والتصفّح إلى المتعلم والمناظر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقا لغرضه، وموافقا لقصده ... إذا قلت:« زيد أفضل إخوته» لم يجز، وإذا قلت: « زيد أفضل الإخوة» جاز، والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم. والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال: « من إخوة زيد » لم يجز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد وإنما تقول : بكر وعمر وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول : أفضل أخوته»[1]. من المعلوم أن علم النحو يُعنى، أول ما يعنى، بالنظر في أواخر الكلم وما يعتريها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية كالحذف والتقديم والتأخير وتفسير بعض التعبيرات.

ويصرح أبو حيان نسبة لقول أبو سعيد السيرافي أن للنحو عدة معانٍ وأقسام وفي ذلك قال:«معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكانته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخى الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردودا

[1] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1 ص 162-163.

لخروجه من عادة القوم الجارية على فطرتهم، فأما ما **يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلّم** لهم، ومأخوذ عنهم، وكلُ ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقياس **المطرد على الأصل المعروف** من غير تحريف»[1].

- وفي آخر هاته المـ ـرة من الليلة الثامنة يتطرق أبو سعيد السيرافي إلى مسألة يمكن القول أنها أصبحت نظرية من النظريات البلاغية العربية المنهجية المطروحة على طاولة النقاش والدراسة قديمًا أو **حديثًا حيث قال: « من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما** هو مستقيم محال، ومنه **ما هو مسقيم قبيح، ومنه ما** هو محال كذب، ومنه ما **هو خطأ»**[2]

إن أبو سعيد في هذا الكلام لم يشر إلى مصطلح النظم بالتحديد، والذي يعد تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو والموضوعة في أ**ماكنها على الوضع الذي** يقتضيه العقل، لكن السيرافي لمح وأشار إليه بكلمة"**الاستقامة**"، باعتبار أن المفردات عند ضمها في شكل كتل ومجموعات **(كلام مفهوم وتراكيب)** منطلق مما تفوّه به العرب السليقيون**، وبذلك يكون أبو سعيد قد بيّن** أن للكلام الجيد أسسًا ونحصل على هذا السبك **الجيد من أبنية مفردات اللغة** وبالتالي نخلص أن الاهتمام باللغة كان قائمًا منذ القديم**، وذلك بوضع ضوابط الكلام انطلاقا من كلام العرب.**

نستنتج مما سبق أن أبو حيان التوحيدي خص الليلة الثامنة لطرح جملة من المسائل الفلسفية **والنحوية، وهذا الإ**شكال دار بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متَّى بن يونس القنائي، فكانت بداية سامرة أو الحديث عن المنطق الذي عرفه متَّى بأنه آلة من آلات التي يعرف بها صحيح الكلام من

[1] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسةج1، الليلة الثامنة ص164.

[2] المصدر نفسه ص168.

سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان، فيخطّىء أبو سعيد متَّى لأنه بحديثه هذا يكون قد ساوى بين المنطق والنظم وهذا غير صحيح، فالنظم على حدى والمنطق شيء آخر غيره، وأثناء احتدام النقاش بينهما يتطرق أبو سعيد إلى طرح مسألة نحوية كانت مطروحة منذ القديم في كلام العرب وهي حرف " الواو" فيتحدث عن أحكامها ومواقعها وأوجهها، ويذكر أبو حيان أن السيرافي فصّل فيها فكان منها ما خصّه للعطف، وما خصّه للقسم، والاستئناف، و واو ربّ التي هي للتقليل وتحدث عن الفرق بينها وبين الواو الأصلية في الأسماء أو الأفعال، و واو الحال، وأخيراً الواو التي تكون بمعنى حرف جر.

كما خص جزءا من ليلته هاته للتفصيل حول مسألة أخرى مدارها معاني ومواضيع حرف"في" التي تفيد " الوعاء"، وقد تأتي للإلصاق مثل حرف الباء لاشتراكهما في المعنى مثل :" الإناء في المكان" أو " الإناء بالمكان"

التالي يمكن القول أن أبا حيان بالرغم من إبداعه وولوعه بالأدب إلا أنه سار على نهج النحاة وما خصوه حول باب"الواو" و"في".

وفي آخر مطاف هذه الليلة طرح جملة من معاني وأقسام النحو فوضّح أنها منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته يعني الإعراب وبين وضع الحروف في مواضعها المناسبة لها وبين حسن تأليف الكلام أي جانب من الجوانب البلاغية وهو التقديم والتأخير.

ثم أقبل في آخر نقطة من ليلته هذه فذكر لنا نظرية بلاغية عربية منهجية ألا وهي النظم الذي يعرف به حسن الكلام من سقيمه كما أن النظم يقتضي وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ومنه يخلص السيرافي أن النظم هو المقياس الحقيقي للبلاغة.

**فكتاب الإمتاع** والمؤانسة بالرغم من كونه ذا طابع أدبي محظ إلا أنه يتضمن بين ثناياه عدة مسائل نحوية وهو ما ذكرناه سابقا (**مسألة "الواو" و**"في" **و**"التقديم والتأخير")

# الخاتمة

**الخاتمة:**

في هذه الدراسة الوصفية التحليلية للقضايا اللغوية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، حاولنا أن نكشف المقدرة والإبداع اللغويين لدى التوحيدي الذي بذل جهدا في استغلال إمكانيات اللغة وخصائصها من خلال هذا الكتاب الذي يعد أكثر كتب التوحيدي كشفا عن لغته و أسلوبه.

ولقد برزت عدة نتائج من خلال هذه الدراسة اللغوية نذكر منها ما يلي :

1- إنّ البحث في التراث العربي يكسب الطالب الباحث في اللــغة اعتــزازا بتراثه عموما من جهــة ومن جهة أخرى اعتزازا بتخصصه اللغوي كما اعتز التوحيدي و شيخه السيرافي بعلم اللغة.

2- إذا ما خلصنا جوانب من حياة التوحيدي نجد أنها تراوحت بين الشقاء و الرفاهية، و لعل من أشد بواعث شقائه أنّ ظروف العيش كانت صعبة في تلك الفترة، ومن أهم بواعث رفاهيته اشتغاله بالوراقة التي اتخذها كحرفة له في ذلك العصر.

3- كان التوحيدي متميزا عن بعض معاصريه مبدع النوادر العاكسة للحياة الاجتماعية التي عاشها في عصره .

4- لقد كان التوحيدي جاحظي المسلك يشتهي أن يسير على نهجه، ولقد تأثر بأسلوبه الفني الراقي في الكتابة والتأليف، والدليل على ذلك اهتمامه الكبير بالقضايا البلاغية.

5- كتاب الإمتاع والمؤانسة هو تسجيل لمجلس ثقافي ممتع، وهو يعبر عن مجالس العصر الذي عاشه التوحيدي من جهة بالإضافة إلى كونه ثري بالعديد من الفنون البلاغية و اللغوية من جهة أخرى.

6- لقد أكّد التوحيدي في الليلة السابعة على دور البلاغة والكتابة الديوانية، واعتبر كليهما وسيلة للإفهام والبيان والاحتجاج الواضح. فالتوحيدي كان رائدا من رواد البلاغة إلا أنه لم يحظ بالكثير من التحفيز والاهتمام ولقد أهمله العديد من الوزراء ، هذا ما أدى به إلى احتراف مهنة الوراقة والكتابة لكسب لقمة عيشه.

7- يجمع التوحيدي بين البلاغة والحساب، واعتبر أنّ كليهما مكمل للآخر ووجودهما داخل المملكة ضروري لحاجة السلطان إليهما أكثر من غيره خاصة في مواقف الأمر و النهي و الخطاب...

8- استطاع التوحيدي أن يُوحِّدَ مختلف توجهات البلغاء وذلك من خلال ليلته السابعة التي جمعت بين الجد والهزل، والتي دعا فيها إلى ضرورة وجود البلغاء في المملكة.

9- عُدَّت قضايا أصول النحو من أبرز القضايا التي وردت في كتاب الإمتاع و المؤانسة، ففي الليلة السادسة من هذا الكتاب كان مضمونها حول الأسواق الأدبية القديمة التي كانت عبارة عن تجمعات لاستعراض الإبداعات الأدبية، وجاء أيضا في هذه الليلة حديث الأصمعي عن غريب اللفظ، وأكّد التوحيدي في آخر هذه الليلة على ضرورة الاحتجاج بكلام العرب على عكس العجم.

10- كتاب الإمتاع و المؤانسة يتضمن بين دفتيه عدة مسائل فلسفية كالمنطق وأيضا قضايا ومسائل نحوية ك" الواو" و حرف "في" و " التقديم و التأخير"، و هذا ما جاء به التوحيدي في الليلة الثامنة من مسامرته.

11- حدّد التوحيدي في الليلة الثامنة مسألة مهمة وهي نظرية النظم و التي قال بها الجرجاني من بعده و التي تقوم على أسس المعرفة العميقة بعلم النحو من جهة وهي المقياس للبلاغة من جهة أخرى.

و في الأخير نقول أننا لا نزعم أننا أحطنا بكل الموضوع لأن موضوع القضايا اللغوية متشعب جـــدّا بل حاولنا جاهدين أن نلمس بعضا منها محاولة الاقتراب من جوهره لنترك القضايا الأخرى لأبحاث أشمل ربما تكون قادرة بالإحاطة بجميع القضايا اللغوية.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع


**I– المعاجم.**

**1–** ابن فارس،معجم مقاييس اللغة، (تح) عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دط)، (دت).

**2–** ابن منظور، لسان العرب، (تح) أمين محمد عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، ط 3 1999.

**3–** ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تح)إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978 .

**4–** عبد السلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 1،1987.

**5–** عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1،1993.

**6–** خير الدين الزركلي، معجم الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، 1980 .

**7–** ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، (تح) إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، 1993.

**II– الكتب:**

- المصادر:

1– أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، (تح) محمد بن تاويت طبخي، دار صادر بيروت، (دط) 1992.

2– ـــــــــــ، الإمتاع والمؤانسة، تقديم مختار نويوات، موفم للنشر، الجزائر، (دط)، 1992.

3– ـــــــــــ، الرسالة البغدادية، (تح) عبود الشالجي، منشورات الجمل، (دط)، (دت).

4- ـــــــــــ، المقابسات، (تح) حسن السندوسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2 1992م.

5- أبو حيان التوحيدي، ومسكويه، الهوامل والشوامل، (تح) صلاح رسلان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (دط)، 1951م.

6- ـــــــــــ، رسائل أبو حيان التوحيدي، (تح) ابراهيم الكيلاني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دط)، (دت).

- **المراجع:**

1- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية بيروت، لبنان، ط1 ،1989 م.

2- أحمد قبش، الكامل في النحو والصرف والإعراب، دار الرشيد، دمشق، ط6، 1986م.

3- أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، دار العلوم، جامعة القاهرة، (دط)، (دت).

4- الأخضر جمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي البلاغي عند العرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م.

5- حسن الملطاوي، الله والانسان في فلسفة أبي حيان التوحيدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، (دط) 1989م.

6- حسين الصديق، فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي، دار القلم العربي، دار الرفاعي، سوريا، حلب، ط1، 2003م.

7- رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، (تح) علي نجيب عطوي، مؤسسة عز الدين، ط1، 1985م.

8- زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط)، (دت).

9- شوقي ضيف، من المشرق والمغرب، بحوث في الأدب،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 1998م.

10- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).

11- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 1986م.

12- علي إمام عبيد، فلسفة مسكويه الطبيعية والإلهية، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2010م.

13- عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة و أصولهم الخمسة، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1995م.

14- محمد رجب السامرائي، أبو حيان التوحيدي إنسانا وأديبا، دار الأوائل، سوريا دمشق، الطبعة الأولى 2002م .

15- محمد علي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.

16- وسيم إبراهيم، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى 1994م.

**III- المذكرات :**

1- أمال شيخ، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جمال حضري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، 2010 م.

2- أميرة محمد غيث، الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، دراسة لغوية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، علم اللغة، أحمد يوسف علي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزقازيق، القاهرة 2005 م.

3- حفيظة سي بوعزة، دلالة الأنس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير، مطهري صفية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2010م-2011م.

4- عبد القادر برجي، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير، أحمد بلخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009م.

5- فهيمة لحلوحي، إستراتيجية الخطاب، في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير، محمد بوعمامة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2002 م-2003م.

6- مزوزية حداد، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية، 515هـ/668هـ-1121م/1269م، مذكرة ماجستير، مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012م- 2013م.

**VI- الموسوعات والمجلات :**

1- أحمد بن عبد العزيز الحصين، موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، ج1، 1428م.

2-مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (مج) 218، عدد فبراير، 1997م.

**V- المواقع الالكترونية:**

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة،

To pdf.http://www.al-mostafa.com.

# الفهرس

# الفهـــــــرس


| ت– م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| 01 | البسملة | / |
| 02 | الآية | / |
| 03 | شكر وتقدير | / |
| 04 | المقدمة | أ– د |
| 05 | التمهيد | 06 |
| 06 | الفصل الأول: المؤلّف والمؤلَّف<br>المبحث الأول: التعريف بأبي حيان التوحيدي<br>المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإمتاع والمؤانسة | 26<br>26<br>51 |
| 07 | الفصل الثاني:القضايا اللغوية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي<br>التمهيد<br>القضايا اللغوية<br>1– القضية البلاغية<br>2– القضية الأصولية<br>3– قضية النحو | 61<br>61<br>62<br>62<br>67<br>73 |
| 08 | الخاتمة | 82 |
| 09 | قائمة المصادر والمراجع | 86 |
| 10 | الفهرس | 91 |